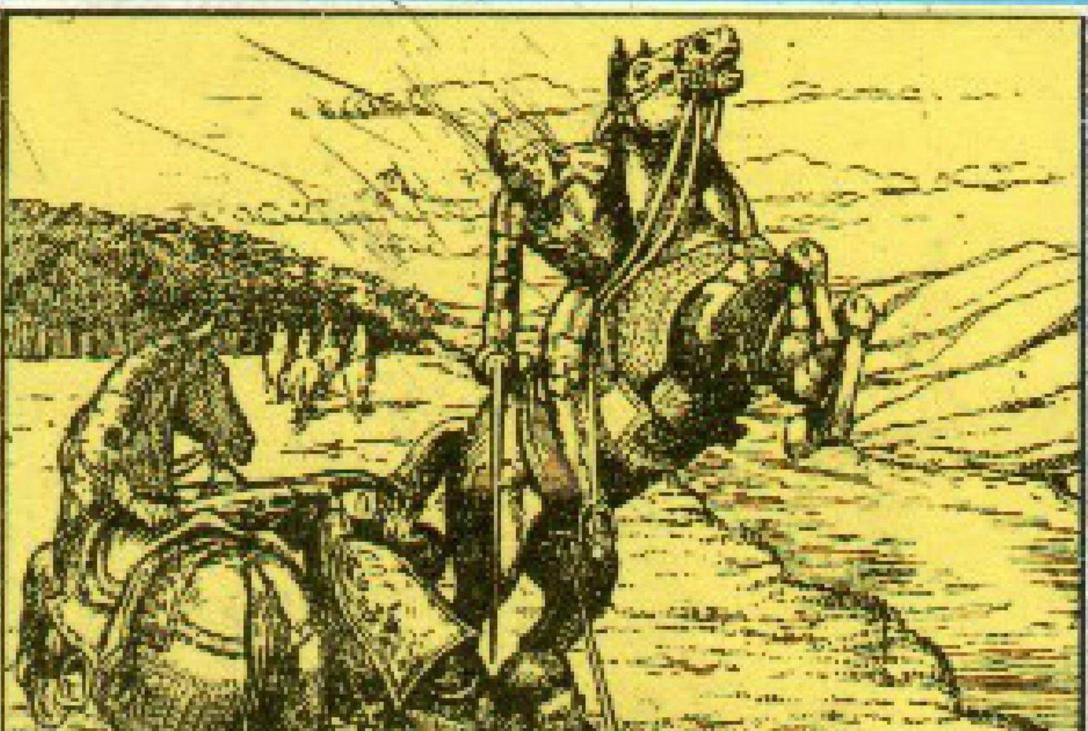
روائع الأدب العالمي للناشئين

# فارس من اسكتلندا

تأليف : سير والتر سكوت

ترجمة : محت التلمسانى

مراجعة : مختار السويفى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس التحرير : مختار السويفي

---

الاخراج الفني : الحبيبة حسين

هذه ترجمة لرواية :

QUENTIN DURWARD

By Sir WALTER SCOTT

# مقدمـــة

- المؤلف : سير والتر سكوت :
- ولد عام ١٧٧١ في أدنبره باسكتلندا ومات عام ١٨٣٢م ٠
- يعد واحدا من اعظم الأدباء الروائيين في عصره على مستوى أوربا كلها ٠
- كان شاعرا عظيما ٠٠ وكتب مئات من القصائد ٠٠ كما جمع الأشعار الشـعبية الاسـكتلندية ونشرها في مجلدات صدرت بعنوان « الشـعر الغنائي » ٠

● كتب أول رواياته « وافرلي » عام ١٨٠٤ .. ثم رواية « مارميون » عـام ١٨٠٨ .. ومن أشـهر رواياته « ايفانهو » التي قدمناها لكم في هذه السلسلة من روائع الأدب العالمي للناشئين .. ورواية « كوينتن دوروارد » التي نقدمهـا لكم بعنوان « فـارس من اسكتلندا » .. وكتب أيضا أكثر من عشرين روايـة نجحت نجاحا جماهيريا عظيما .. وكسـب من هذه الأعمال الأدبية أموالا طائلة .

● تتميز معظم أعماله الروائية بروح الفروسية والمغامرات ذات الأهداف النبيلة .. كما يظهر فيهـا مدى حبه للتاريخ الماضي المجيد لبلاده ، وهو تاريخ يمتد الى العصور الوسـطى .. ولذلك فقد أبرز في هذه الروايات شخصيات تاريخية يقارنهـا كثير من النقاد بالشخصيات التاريخية التي أبدعهـا وليـم شيكسبير .

● والى جانب روح الفروسية التي تتميز بها أعماله الأدبية تجد أيضا الطابع الرومانسي شائعا في

معظم هذه الاعمال كما نلمس قدرتـه الفائقـة على التصوير الواقعي لجميع الأحداث والوصف الدقيـق لجميع الشخصيات ٠

● وفي عام ١٨٢٠ منح لقب « بارون » تقديرا لمكانته الأدبية الرفيعة ٠

« رئيس التحرير »

# الشخصيات بترتيب ظهورها فى الروايــة :

- كوينتن دورورد .
- الملك لوس ملك فرنسا ( ماتر بيير )
- تريستان ( ضابط من ضباط ملك فرنسا )
- ليدى ايزابيل
- بلافريه ( خال كوينتن دورورد واحد افراد الحرس الاسكتلندى )

- زاميت ماجروبين ( غجري )
- ايشيل واندريه ( جنود ملك فرنسا )
- لورد كراوفورد ( قائد الحرس الاسكتلندي )
- دوق أورليان ( ابن اخ ملك فرنسا )
- جون بالو ( اسقف في بلاط الملك لويس )
- دونوا ( جندي من جنود الملك لويس )
- اوليفر دين ( خادم الملك لويس )
- كونت كرافكور ( ضابط في بلاط بورجوندي )
- الأميرة جوان ( ابنة الملك لويس )
- ليدي هاملين
- مارثون ( اخت هيرادين )
- هيرادين ( غجري ، أخ لزاميت )
- اسقف لياج ( صديق دوق بورجولدي )

- بافيون ( تاجر ثرى من لياج )
- تروشن ( ابنة بافيون )
- بتركين جسلر ( صديق بافيون )
- وليام دولامارك ( خارج عن القانون )
- كارل ( ابن دولامارك )
- هانز جلوفر ( صديق تروشن ابنة بافيون )
- كونت كامبو - باسو (يريد دوق بورجوندى تزويجه ليدى ايزابيل ) .
- كومينس ( ضابط في بلاط بورجندي )
- دوق بورجوندي ( عدو ملك فرنسا )
- ليدى كرافكور ( زوجة كونت كرافكور )
- روج سانجليه ( او الخنزير الأحمر ) هو الاسم الذى يطلق على خيراسين عندما يحمل رسالة من لامارك الى دوق بورجوندى .

**ترتيب الطبقات :**

**١ ـ الملك**

**٢ ـ الأمير**

**٣ ـ الدوق**

**٤ ـ الكونت**

**( الكونتيسة هي زوجة الكونت )**

**الأسقف هو رئيس الكنيسة الذى يلى الدوق في المرتبة ويسبق الكونت ٠**

● **ملاحظــــة :**

في الفترة التي تدور فيها أحداث هذه القصة ( عام ١٤٦٨م ) ، لم تكن فرنسا بعد بلدا واحدا يحكمه حاكم واحد كما هو الحال اليوم ٠ كانت فرنسا منقسمة الى عدة مقاطعات مثل مقاطعة بورجوندى ( أو بورجونى بالفرنسية Bourgogne) ونورمندى ولورين وغيرها ٠

وكان حكام هذه المقاطعات ينتمون لطبقـــة الدوق أو اللورد . كما كان ملك فرنسا يحكم جزءا كبيرا من البلد بنفسه . ولقد أقسمت هذه الطبقات من النبلاء على طاعته . لكنها أحيانا كانت تتمرد عليه ، فدارت الحروب بينها وبين الملك وبينها بعضها البعض .

وكان دوق بورجوندى أعظم النبلاء جميعا وكان يلي ملك فرنسا فى القوة والسلطان .

# الفصـــل الأول

## من هو ماتر بيير ؟

كان صباحا صيفيا جميلا ، اشرقت شمسه فـوق أشـجار الغابة المحيطة بقلعة « بليسى ليتور » فى فرنسا وكان هناك شاب جاء من الشمال الشرقى ويتجه صوب نهر صغير يقف على شاطئه رجلان ·

عندما اقترب الشاب بدت ملابسه الاســـكتلندية القومية واضحة للعيان · كان عمره لايتجاوز العشرين

عاما ، وعندما بلغ ضفة النهر توقف وصاح سائـــلا ان كان باستطاعته عبور النهر وان كانت مياهه عميقة ٠

عندما لم يتلق ردا قفز في الماء لكن الماء كان اعمق مما تصور فاضطر للسباحة ٠ صاح الرجل الاكبر سنا :

ها ! ٠٠ شاب صغير طيب يجيد السباحة ٠٠ احر وساعده عندما يصل الى الشاطىء ٠٠ ربما كان واحدا من جنودنا الاسكتلنديين ٠

بلغ الشاب ضفة النهر وخرج من الماء متجها نحو الرجل الاكبر سنا وسأله :

لماذا لم ترد على عندما صحت سائلا عن عمـــق النهـــر ؟

ورفع عصاه لكي يضرب بها الرجل ٠ فقال -

يبدو أنك غريب ٠ لابد ان تتذكر دائما ان لغتك غير مفهومة بسهولة !

قال الشاب :

حقا • لا بأس • يجب أن أطلب منكما اصطحابي الى مكان ما لأجفف ملابسي •

قال الرجل :

من تظننا نكون ؟

أجاب الشاب :

أوه ، ربما كنت تاجرا وهذا الرجل ربما كان تاجرا متجولا أ وبائع لحوم أو قاتلا !

صاح الرجل الأكبر سنا مبتسما وقال :

صحيح • أنت على حق تماما • مهنتي هي الحصول على أكبر قدر من المال ومهنة صديقي هي القتل بالأجر • حسنا سوف أحاول مساعدتك ولكن اخبرني أولا من أنت ؟

نظر الشاب بإمعان الى الرجل الأكبر سنا ثم نظر الى الرجل الآخر • كان الكبير يرتدي ملابس

داكنة وكان وجهه قويا صلقا . اما الآخر فكان يصغره بعشرة اعوام وكان يحمل سيفا .

قال الشـــاب :

لا اعرف لمن أتحدث ولكنني سوف اخبركمـــا من أكون .. لقد جئت من اسكتلندا لزيارة عمي « بلافريه » وهو من حرس ملك فرنسا الاسكتلنديين .

قال الاكبر سنا :

أنا ماتر بيير . وما اسمك انت ؟

ـ كوينتن دوروارد ، من البلاد .

ـ حسنا ايها الشاب تستطيع ان تبقى معي سوف أصحبك الى الخان .

وفي اثناء سيرهم مروا بالقرب من القلعة . فقال ماتر بيير : انها قلعـــة جميلة اليس كذلـــك ؟ لابد أن المقيمين بها لا يشعرون بالخوف ابدا !

قال الشاب : لو كنت ملك فرنسا لما بنيت قلعتي

بهذه الحصانة ، ولحكمت بالعدل حتى لا يتمنى أحد مباجمتي ·

قال الرجل الآخر ويدعى تريستان : يجب ان تكون حريصا في كلامك والا سمعك الملك ·

قال كوينتن : أنا لا أبالي · الرجل الاسكتلندى يقول دائما مايفكر فيه ولو انى قابلت الملك لقلت له نفس ما قلته الآن !

وكان كوينتن قريبا من الملك فى تلك اللحظة أكثر مما يتخيل ·

سار الرجال الثلاثة على الطريق مسافة طويلة ثم تركهم تريستان ·

عندما اقتربا من القرية استدار ماتر بيير يمينا وقال : سوف آخذك الى خان عادى، يستقبل افضل المسافرين فقط ·

قال كوينتن : لا تأخذنى الى مكان ادفع فيه مالا كثيرا نظير افطارى !

ضحك ماتر بيير وقال : يالكم من حريصين ايها الاسكتلنديين ! .. انكم تحرصون على كل قرش . يذهب الانجليزى منكم الى الحانة فيأكل ويشرب كما يشاء ولا يفكر فى المال مطلقا الا اذا امتلأت معدته . ولكن تذكر ياسيدى انى مدين لك بطعام افطارك . فبسببى ابتلت ملابسك .

هبطا فى ممر صغير تحفه الأشجار العالية من الجانبين حتى وصلا فى النهاية الى خان صغير هادىء . لم يناد ماتر بيير على احد بل اجتاز بابا جانبيا ودخل حجرة كبيرة تشتعل فيها نيران المدفأة .. كانت المائدة معدة للافطار . دخل صاحب الخان وانحنى فقال ماتر بيير : لقد ارسلت لك امرا باعداد مائدة الافطار .

انحنى صاحب الخان مرة ثانية واسرع لاحضار الطعام .

# الفصـــل الثـــانى

## من تكون السـيدة ؟

كانت وجبة نبلاء بحق وبدا كوينتن جديرا بهــا الى حد كبير • جلس ماتر بيير الى المائدة دون أن يأكل وراح يراقب الشاب وهو ياتى على الاطباق واحدا تلو الآخر • وقال ماتر بيير : اننى لا آكل شيئا قبل الظهر فيما عدا ثمرة فاكهة وأشرب كوبا من الماء •

ثم التفت الى صاحب الخان وقال : قل للسيدة أن تحضر لى بعض الفاكهة • .

غادر صاحب الخـــان الغرفة · **وقال ماثر بيير :** حسنا ·· لقد وفيت بوعدي ودعوتك الي الافطار ·

**قال الشاب :** هذه افضل وجبة تناولتها منـــذ مغادرتي اسكتلندا حتى الآن ·

فتحت سيدة شابة الباب ودخلت وهي تحمل طبقا من الفاكهة ·· كان وجهها نبيلا جميلا وقد تناثر شعرها الأسود على كتفيها لكن نظرة حزن دفين اطلت من عينيها ·

**قال ماثر بيير :** لماذا ياايزابيل ؟ ·· لماذا جئت ؟ كنت اريد رؤية هاملين · هل تظن انها انبل من ان تقدم لى الطعام ؟

**اجابت ايزابيل :** انها متوعكة وقد بقيت فى غرفتها ·

**قال ماثر بيير :** ارجو الا تكون مدعية المرض ·

كان وجه ايزابيل شاحبا وبدا كما لو كانت ستسقط طبق الفاكهة · فقفز كوينتن على قدميه والتقطه منها ·



كانت ذات ملامح نبيلة ووجه جميل !

وقال ماتر بيير : انا لا اوهمك ياسيدتي لأنك شابة وحمقاء ·· كل النساء حمقاوات وسيخبرك هذا الشاب الاسكتلندي أن هذه هي الحقيقة ·

نظرت ايزابيل برهة الى كوينتن وكان في عينيها نداء يدعوه لنجدتها ·فقال كوينتن : لا هذا ليس صحيحا وانا واثق ان هذه السيدة تتمتع بالعقل والجمال معا ·

قال ماتربيير : انت شاب غرير ! ·

غادرت السيدة الحجرة ووضع كوينتن طبق الفاكهة على المائدة ·· قال ماتر بيير وهو يمعن النظـــر في كوينتن :

مخلوق جميل ·· انها فتاة جميلة لا يصـــح ان تعمل خادمة في الخان اليس كذلك ؟

أطاحت هذه الكلمات الباردة باحلام اليقظـــة من عقل كوينتن وظل وجه ايزابيل يعاوده مرات ومرات منذ ذلك الحين ·

ووقف ماتر بيير اخيرا استعدادا للرحيل · وقال :

يجب أن تحمد الله أنك قابلتني هذا الصباح · ستفهم فيما بعد معنى قولى هذا ·· ابق فى هذا الخان حتى يأتيك عمك بلافريه · سأخبره أنك هنا فعندي بعض الأعمال أقضيها فى القلعة ؛

قال كوينتن مخاطبا نفســه : الى الشــــيطان هذا التاجر العجوز ! يظن نفسه شخصية عظيمة وهو يعطي الأوامر هكذا ··

كان ينوى الرد عليه عندما قال ماتر بيير بصوت آمر : لا ترد أيها الشاب وافعل ما أمرت به ·

ثم غادر الحجرة ·

دخل صاحب الخان لينظف المائدة وقال كوينتن : من هو ماتر بيير ؟

كرر صاحب الخان فى بطء : من هو ماتر بيير ؟ كان عليك أن تسأله هذا السؤال بنفسك ياسيدى !

ـ ومن هى السيدة الشابة التى احضرت الفاكهة ؟

ـ من هى ؟ .. انها سيدة تقيم فى هذا المنزل !

ـ هل لى أن أتشرف بالحديث معها ؟

تردد صاحب الخان وقال : السيدات لا تخرجن ولا تستقبلن أحدا .

قال كوينتن : لقد استقبلت ماتر بيير . هل تحمل اليهما رسالتى ؟

ذهب صاحب الخان ثم عاد سريعا ليخبره أن السيدات لا يستطعن مقابلته .

بعدما حقق كوينتن ملابسه خرج من الخان وهاهو صوت غناء جميل من نافذة مفتوحة . نظر عاليا لكن ستارا أسدل سريعا على فتحة النافذة .

# الفصـــل الثــالث

## المـوت شنقا

خرج صاحب الخان ليخبر كوينتن أن رجلا جاء لرؤيته . دخل كوينتن الغرفة فرأى رجلا طوله ستة اقدام يرتدي ملابس الحرس الملكى الاسكتلندي .

قال بلافريه : حسنا يابني ماذا تحمل من اخبار ؟

اجاب كوينتن : عندي اخبار قليلة طيبة ياخالي ولكني سعيد بلقائك !

ـ كيف حال اختى ؟

اجاب كوينتن فى أسى : لقد ماتت !

قال بلافريه : ماذا ؟ لقد كانت تصغرنى بخمسة اعوام ! اذن عند جئت اتنضم لحرس الملك الاسكتلندى ؟

اجاب كوينتن : لقد جئت لأعمل جنديا فى فرنسا لكنى سمعت أن دوق بورجوندى عنده جيش أعظم من جيش ملك فرنسا وان فى خدمته شرفا كبيرا .

قال بلافريه : انك تتكلم مثل صبى احمق . ان دوق بورجوندى حاكم جرئ واحمق وهو خطر كبير على فرنسا . اذا التحقت بخدمة الملك ستكون بين اصدقائك وابناء وطنك . فكر فى الأمر !

فى تلك اللحظة دق ناقوس . فصاح بلافريه : ها ! .. انه ناقوس كنيسة سان مارتان . يجب أن اعود مسرعا الى القلعة .. فى الثامنة من صباح الغد تعال الى البوابة واسأل الجنود هناك عن بلافريه . سوف ترى الملك وتحكم بنفسك !

قال بلافريه هذا وهرع مسرعا الى الخارج ·

وفى الصباح التالى تأهب كوينتن للذهاب الى قلعة بليسى ليتور ·· على ربوة ترتفـــع عند النهـر رأى شجرتين أو ثلاثا من الأشجار الضخمة فاتجه صوبها غارقا فى أفكاره · ربما كان يفكر فى ايزابيل الجميلة ·

فجأة سمع صراخا - جرى مسرعا أعلى التل فرأى أمام عينيه مشهدا مفزعا ·

كان هناك رجل معلق على شجرة وقد وقف حوله عدد من الرجال · كانوا من الغجر وهم شعب غريب لونه داكن وفد الى أوروبا من الهند منذ مئات السنين ولم يحاول أحد من الغجر مساعدة صديقهم ·

تسلق كوينتن بسرعة الشجرة وقطع بسكينه الحبل فسقط الجسد ثقيلا على الأرض · فتح كوينتن ملابس الرجل المحيطة بالرقبة وصب الماء على وجهه محاولا أن يعيده الى الحياة ·

فجأة سمع صوت جياد وصاح الغجر المحيطون

بالشجرة صيحات الخوف • احس كوينتن بمن يمسك به من الخلف ويقيد ذراعيه واضعا سكينا على رقبته • فقال دون ان يرى الشخص الذى هاجمه : ماذا تفعل ؟ لقد انزلت الرجل من الشجرة لطيبة قلبي • لماذا تهاجمنى ؟

ظهر أحد الضباط وكان تريستان ، الرجل الذى قابله عند شاطىء النهر برفقة « ماتر بيير » •

قال تريستان محدثا جنوده : امسكا به جيدا ايتيل واندريه •• سوف اعلم هؤلاء الناس كيف يخالفون امر الملك • توجد اشجار اخرى هنا ومعكما الحبال !

قال أحد الغجر القريبين مشيرا الى كوينتن : هو الفاعل • نحن لم نفعل شيئا •

قيد الجنود يدى كوينتن بسرعة خلف ظهره واعد جنديان اخران الحبل للشنق • رأى كوينتن الموت يقترب حثيثا منه • أين يجد النجدة ؟ وما الذى ينقذه الآن ؟

نظر حوله الى وجوه الجمع المحيط به ورأى وجها

يختلف عن باقى الوجوه ـ وجه اسكتلندى طيب ٠٠ وعندما أعاد النظر لاحظ أن الرجل يرتدى زى الحرس الملكى ٠ فصاح : النجدة ! أنا من موطنك ٠ ألن يساعدني احد ؟ ٠٠ ان خالي يدعى بلافريه ٠ استدعوه على الفور !

رفع الرجل يده وصاح صيحة عالية رنت على جانبي التل ٠ هل يمكن ان يكون بلافريه قريبا ؟ هل يأتى فى الوقت المناسب ؟ تسلق احد الجنود الشجرة وأخذ يثبت الحبل فى غصن قوى ٠

سمع كوينتن عن بعد صيحة اخرى ٠ دفعه الجنود صوب الشجرة وكان الاسكتلندى قد اختفى ٠ ربما عاد أدراجه اسفل التل للقاء رفاقه ٠

كانوا الآن يضعون الحبل حول رقبته ٠ ثم سمعت صيحة قريبة ٠ أحس كوينتن بالحبل يحيط برقبته ٠ كانت مسألة لحظات فهل تأتى النجدة فى الوقت المناسب ؟ اغلق عينيه ظنا منه ان الأمل مفقود ٠

ثم سمع صوت فرسان على جيادهم ففتح عينيه ليرى بلافريه واقفا امامه ويسمع صوته ·

صاح بلافريه : « توقفوا ! بأى حق تشنقون فردا من افراد الحرس الملكى الاسكتلندى ؟

استدار قائد الجنود الى بلافريه وقال : هل هو من الحرس الملكي الاسكتلندى ؟ ·· اذا كان حقا منهم فلماذا لايرتدى زيهم ؟

اجاب بلافريه : لقد انضم الى الحرس حديثا ولم يعط زيه بعد ·· ولكن تأكد انه من الحرس · يمكنك ان تسأل لورد كراوفورد بنفسك ·

بدا على الجندى الشك برهة ثم أشار الى رجاله الذين انزلوا الحبل ·· رفع احد الجنود الاسكتلنديين الحبل عن عنق كوينتن بينما فك الآخر وثاقه ·

قال بلافريه : تعال معى يجب ان تاتى الى القلعة فى الحال ·

وفي طريقهم ضحك بلافريه قائلا : يبدو ان الامر قد تقرر . فبالأمس كنت غير واثق من رغبتك في الانضمام الى الحرس الاسكتلندي لملك فرنسا ولكن يبدو أنك انضممت اليه بالفعل .

وعندما بلغا بوابة القلعة اعلق جنديان حرابهما أمامهما . انتظرا هناك حتى أطل عليهما أحد الجنود بحرص من نافذة صغيرة في الجدار . وأخيرا انفتحت البوابة الكبيرة وسارا الى الفناء الداخلي .

كان لورد كراوفورد رجلا طويلا سخيفا . وعندما دخل بلافريه وكوينتن الغرفة كان مستغرقا في القراءة فوضع كتابه جانبا وسأل حانقا : والآن ماذا تريد ؟

قص بلافريه قصته .

قال لورد كراوفورد : كم مرة ستوقعني في المشاكل ؟ .. لقد أخبرتك مرارا وتكرارا ألا تتشاجر مع جنود الملك .. غير انى الاحظ ان هذا الشاب لم يأت بهدف الأذى . اعطني قائمة بالرجال الموجودين في الكتيبة .

اخذ بلافريه كتابا كبيرا من احد الصناديق الكبيرة في ركن من اركان الغرفة ووضعه على مكتب اللورد ·· تناول لورد كراوفورد قلمه وخط شيئا داخل الكتاب ·

ثم قال وهو يبتسم : لقد انضممت بالأمس الى الحرس أليس كذلك أيها الشاب ؟

قال كوينتن : هل تتفضل ياسيدى ·· ؟

صاح بلافريه : هل جننت ؟ ·· هل تعطى الأوامر لقائدك ؟ قل « نعم » أيها الفتى !

اجاب كوينتن : نعم !

قال لورد كراوفورد : « كوينتن دورورارد ، انت الآن عضو في كتيبة الحرس الملكى الاسكتلندي ، اتمنى ان تشرفنا · سوف تلحق بالخدمة صباح غد في البلاط الملكي انت وعمك وخمسة رجال آخرون ·

# الفصل الرابع

## أوامر الدوق

كانت القاعة الكبيرة تغص بالنبلاء والامراء والخدم . ولكنها لم تكن رائعة كما توقع كوينتن اذ أن معظم الحضور كانوا يرتدون ثيابا داكنة ·

عند اعطاء الاشارة انفتحت الأبواب في نهاية القاعة · « افسحوا الطريق للملك ! » ·

دخل لورد كراوفورد أولا بكامل ثيابه وسيفه

مرفوع ، ثم تبعه دوق أورليان وكان الملك احد اعمامه ٠٠ ولان الملك لم يرزق بأولاد فكـان من الأرجـــح أن يصبح أورليان ملك فرنسا القادم ٠ ولهـــذا كان الملك لويس يريد تزويج ابنته جوان لدوق أورليان ٠ ثم تبع الدوق الأسقف جون بالو خادم الكنيسـة بصحبته دونوا وهو صديق حميم لدوق أورليان وأحد أفـراد أسرته ٠

قال دونوا لبالو : هل يعرف جلالة الملك أن كونت كرافكور جاء من عند دوق بورجوندى حاملا رسالة ؟

اجاب بالو : نعم يعرف ٠ ما هو أوليفر دين يحمل اوامر الملك ٠

وأثناء حديثهما هناك دخل رجل قصير يرتدى ثوبا أسود ويحمل ثوبا أبيض على ذراعه ٠ كان مجـــرد خادم لكن الملك جعله صديقا له وكان من المعروف عنه أنه يتمتع بسطوة كبيرة ٠

كانت كل الانظار الآن مسلطة على باب صغير فى جانب القاعة ٠ وكان كوينتن ينظر صوب الباب حتى

كاد ان يسقط سيفه فجأة اذ انفتح الباب ودخل التاجر ـ ماتر بيير ـ الرجل الذي قابله عند شاطىء النهـر والذي تناول معه طعام الافطار · كان ماتر بيير هـو نفسه ملك فرنسا !

لمحت عينا الملك السريعة الشاب الاسكتلندي وسار الملك الى حيث يقف كوينتن قائلا : لقد قيل لي انك كنت تتشاجر ! ·· ربما كان خطأ مني أن منحتك افطارا شهيا او ربما كانت خمر صاحب الخان قوية اكثر من اللازم ·

ثم اضاف وهو يستدير : بلافريه ، صديقك الشاب هذا طيب ولكن بداخله كثيرا من حمية الشباب !

في تلك اللحظة ، جاء دونوا لينحني امام الملـك قائلا : سيدي ·· كونت كرافكور موجود خارج القلعة ومعه رسالة من دوق بورجوندي · وهو يطلب المثول بين يديك !

أجاب الملك : يطلب ! ·· ألم تخبره يادونوا أنني لا ارغب في مقابلته اليوم ؟ ·· انني ذاهب للصيد ·

ـ قلت له ذلك ياسيدى ولكن ...

قال الملك : حسنا . دعه يدخل !

وقف الحاضرون فى القاعة في نصف دائرة تبعا لمناصبهم استعدادا للقاء الكونت .

دخل أحد الخدم وانحنى أمام الملك ثم أعطاه رسالة .. نظر الملك فى الورقة ثم أعادها الى الخادم .

ـ لا أحتاج الى رسائل لتعرفنى بالكونت كرافكور . دع الكونت يمثل بين يدى !

دخل الكونت وانحنى أمام الملك ، ثم تكلم بصوت جهير : أيها الملك ، يرسل اليك دوق بورجوندى قائمة بالأخطاء التى ارتكبتها حاشيتك فى حقه .. ولكى لا تنشب الحرب بين الحاكمين العظيمين ، يلتمس منك الدوق أن تقيم العدل . وأول مطالب سيدى أن يستدعى الملك من لياج بعض أعوانه الذين يثيرون الشعب سرا ضد أسقف لياج ، وهو خادم دوق بورجوندى الأمين .

صاح الملك : أعوانى فى لياج ! أعرف جيدا ان مدينة لياج يحكمها الأسقف وهو احد أفراد اسـرة سيدك وصديقه . ولا يوجد لى اعوان هناك وليست عندى رغبة فى ايذاء صديق صـديقى العـزيز دوق بورجوندى .. وما هو « مطلب » سيدك الثاني ؟

اكمل الكونت قائلا : مطلب الدوق الثانى هو ان يعيد الملك اليه ليدى هاملين وليدى ايزابيل دو كروا اللتين هربتا من الدوق للاختباء هنا عند الملك !

سأل الملك حانقا : ومن قال ان هاتين السيدتين تختبآن في هذه الانحاء ؟ من قال انى استقبلتهما أو انى قمت بحمايتهما ؟ ان كانتا فى فرنسا فليس لدى علم بذلك .

قال كرافكور : سيدى . لقد رأى احد الرجال السيدتين فى خان لا يبعد كثيرا عن هذه القلعة . كما رأى ملك فرنسا يرتدى ثياب التجار ويتحدث اليهما .

ـ احضر هذا الرجل .. ليقف في وجهى ويردد هذه الأكاذيب .

ـ تعرف جيدا ياسيدى أن هذا الرجل لم يعد حيا ·· لقد كان يدعى زاميت ماجروبين وقد شنقه بالأمس مجموعة من جنودك ·

قال الملك : بالطبع لقد شنق جنودي رجلا يدعى زاميت ماجروبين · كان لصا غجريا ·· لقد تعرضنا لكثير من المشاكل مؤخرا بسبب هؤلاء الغجر ·· لكن بقية قصتك ليست حقيقية ·· لقد سمعت مافيه الكفاية يمكنك أن تعود الى سيدك ولا تدعه يرسل الى رسائل أخرى مثل هذه !

قال الكونت : اذن هل افهم من ذلك أن الحرب قائمة بين ملك فرنسا ودوق بورجوندي ؟ ·· لقد أمرني سيدى أن أوضح لك أنه سوف يأتي بجيشه لتصـــحيح هذه الاخطاء ان لم تفعل أنت ·

بهذه الكلمات استدار الكونت وغادر القاعـــة · والتفت الملك لبالو وقال بهدوء : تأكد من أن كونـــت كرافكور يظل هنا خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة ·· والآن دعونا نذهب الى الصيد !

# الفصـــل الخامس

## صـيد طيـب

كان الملك لويس ملك فرنسا أسعد حالا عندما كان في مضمار الصيد • فقد تبع الخنزير البرى عن قرب ، ولكنه اسرع بجواده حتى ترك خلفه كل أتباعه فيما عدا كوينتن الذى كان حصانه مفعما بالنشاط ، لأنه لـم يكن يحمل سوى جسد الشاب الخفيف •

وصل الخنزير البرى الى أرض ناعمة جافة ولم يكن من الممكن ان يعبرها فاستدار •

كانت لحظة خطيرة على لويس لكنه تقدم بجواده مسددا رمحه للخنزير ، كان الحصان خائفا ، قفز جانبا فاخطأ الملك في تسديد رمحه ، قفز الملك عن ظهر حصانه مسرعا حاملا في يده سيفا قصيرا ، تقدم الخنزير البرى وفى تلك الأثناء بينما تقدم منه الملك لمهاجمته سقط على الأرض الناعمة فهجم عليه الخنزير واخطأه ثم استدار لمهاجمة الملك مرة ثانية .. وكان الملك يقوم من سقطته على الأرض ، كانت حياته فى خطر داهم .

فى تلك اللحظة ظهر كوينتن دوروارد على حصانه ورأى الملك فى خطر ، اسرع بحصانه متقدما وصوب رمحه الى الخنزير البرى ، وبينما كان الخنزير يقترب من الملك المستلقى على العشب مرق رمح كوينتن فى عنقه .

كان الملك الآن واقفا على قدميه ، أسرع لنجدة كوينتن وصوب سيفه الى قلب الحيوان المفترس ، ثم استدار ونظر الى الرجل الذى انقذه .

وقال وهو يعيد سيفه الى مكانه : أوه . أهو أنت ايها الشاب الاسكتلندى ؟ .. لقد بدأت صيدك بداية طيبة ودفعت ثمن افطارك فى الخان . ساعدني لأمتطى صهوة جوادى .. أنا معجب بك ايها الشاب وسوف اعاونك . لا تثق فى معونة احد غيرى .. ولا تقل شيئا عن موضوع الخنزير البرى . ان الملك لا يريد أن يعرف أحد أنه احتاج للمساعدة !

فى تلك اللحظة وصل عدد كبير من الاشخاص .
قال دونوا وهو ينظر الى الخنزير الضخم الراقد على العشب : لقد قتلت وحشا عظيما ياسيدى !

أجاب الملك : نعم . نعم . انه خنزير جيد . لقد اخطأته برمحى وقتلته بسيفى !

ولنلاحظ أنه لم يقل شيئا عن معونة كوينتن له .

# الفصـــل السادس

## خدمــة سريـــة

في مساء اليوم التالي ، كان كوينتن في غرفـــة بلافريه . فتح الباب ودخل أوليفر دين . التفت الى بلافريه قائلا : سوف يسعدك أن تعرف أن الملك سعيد بهذا الصبي وقد اختاره لمهمة خاصة .. عليه أن ...

صاح بلافريه في دهشة بالغة : اختاره هو . تعني أنا على ما أعتقد ؟

قال اوليفر دين : لا · لقد قصدت ما قلت · طلب الملك كوينتن دوروارد ويجب ان ترسله معى فى الحال !

استعد كوينتن بسرعة بينما انتظره اوليفر · ثم ذهب مع اوليفر الذى قاده حول القلعة فى طريق سرية حتى بلغا فى النهاية قاعة كبيرة بالقرب من غرف الملك ·

قال اوليفر بصوت عال : ستقوم بالحراسة هنا · لا تحدث صوتا ولكن راقب جيدا !

قال كوينتن : اراقب جيدا ؟ ·· ولكن اراقب من ؟ ·· لايوجد احد هنا !

اجاب اوليفر : انتظر وافتح عينيك !

تركه اوليفر وانتظر كوينتن هناك · كانت الساعة الآن بعد الظهر بساعتين ، وبدا يشعر بالجوع · سار جيئة وذهابا فى القاعة وكان هناك بابان عند كل طرف من اطراف القاعة · ثم سمع صوتا · اقترب من الباب الجنوبى فسمع صوت الموسيقى وكان نفس الصوت

النسائى الذى سمعه فى نافذة الخان · طافت كل احلام الأمس ثانية بخياله ورهف هناك مرهف السمع ·

فجأة امسكت يد قوية بذراع كوينتن ·

ـ ها ! دوروارد ! ·· هل تقوم بالحراسة وانت نائم هنا ؟

التفت كوينتن وراى ان الملك نفسه كان قد دخل القاعة بينما كان هو يحلم ·· وقد دخلها غالبا من باب سرى ·

ترك لويس ذراع الشاب ثم ضحك قائلا :

ـ هل تناولت غداءك ؟

لم يكن كوينتن يتوقع هذا السؤال · كان يتوقع ان يرسلوا به الى لورد كروفورد لأنه فشل فى اداء واجبه ·· اجاب انه لم يكن عنده شىء يؤكل ·

قال لويس فى صوت ناعم : يالصبى المسكين · لقد اصابه الجوع بالنعاس ! أعرف كم هى كبيرة الرجبة

التي تأكلها ‥ هل تستطيع الانتظار ساعة أخـــرى على الطعام ؟

اجاب كوينتن : أربع وعشرون ساعة ياســيدى ٠ لقد تعود شعب اسكتلندا على البقاء بدون طعام !

ـ سوف التقى ببالو وكويت كرافكور ســـرا في غرفتي ‥ ومن الممكن أن يحوم الخطر حولـــي فانا لا اثق بهما ‥ سوف تنتظر وتراقب وتستعد لاطلاق النار !

قاد لويس الجندى الشاب عبر باب جانبى وعـبرا بعدة غرف حتى وصلا في النهاية الى غرفة بها مائدة أعدت للطعام ٠ وفي احد أركان الغرفة كانت هنـاك ستائر أمر لويس كوينتن أن يختبىء خلفها ٠

ـ اذا ناديت عليك سوف تخرج في الحال وتطلق النار ٠ صوب جيدا الى كرافكور ٠ واذا اخطأتــه استخدم سكينك ٠ اوليفر دين وأنا نستطيع التعامل مع الـو ٠

دخل اوليفر دين الغرفة · أخفى كوينتن نفسه ، ووصل كرافكور وبالو بعد ذلك بقليل ·· لـم يكـن كوينتن يستطيع أن يسمع مايقال من موقعه واستمر الملك وزائراه يتحدثون بصوت منخفض لمدة ساعة ونصف الساعة · كانوا احيانا يضحكون ، ثم غادر الزائران الغرفة في النهاية وغادرها اوليفر دين أيضا بعد ذلك بوقت قصير ·

نادى لويس على كوينتن من خلف الستائر وقال : لم تنته بعد من المراقبة · تناول بعض الطعام ثم اخبرك بما تفعل غير ذلك !

القى الملك بنفسه ثانية على المقعد ووضع وجهه بين راحتيه ·

# الفصل السابع

## السيدات يدخلن

اتجه كوينتن صوب المائدة واخذ ياكل · بعد برهة رفع الملك راسه ونظر اليه قائلا : ارى انك لم تنته بعد من طعامك واعرف الكمية التى تستطيع تناولها · المعدة الممتلئة لا تضر أبدا بعمل الرجل ·· خذ كأس نبيذ !

عندما أخذ كوينتن كفايته من الطعام قام الملك وقال : اتبعنى !

ثم عاد به ثانية الى القاعة ·

**قال لويس** : والآن تذكر انك لم تترك أبدا مكانك · لو سالك احد قل انك كنت هنا طيلة الوقت وانك لـــم تر أحدا · والآن انصت الى · عليك أن تبقى هنا وتتأكد أن أحدا غير أوليفر دين وأنا نفسى لن يدخل هنا هذا المساء · سوف تأتى بعض النساء الى هنا ربما من احد اطراف القاعة وربما من الطرف الآخر · لا يجب أن تتحدث اليهن · لا يجب ان تخبر أحدا بما قلى ··· اذا تحدثن اليك يجب الا ترد ·· دعهن يعتقدن انـــك كرجل اسكتلندى لا تفهم لغتهم ·· هل تفهمني ؟ حسنا ! والآن خذ حذرك !

ما أن اكمل الملك حديثه حتى اختفى وراء احـــد الأبواب الصغيرة ووقف كوينتن هناك وحيدا · هبت الريح على القاعة محدثة صوتا غريبا · تحركت الستائر وظن كوينتن انه يسمع اصواتا ، فراح يتساءل « هل هذا صوت خطوات ايزابيل ؟ » ·· خفق قلبه بسرعة ليس من الخوف ولكن من السعادة والأمل ·

اخيرا سمع صوت باب ينفتح فى يسر . دخلت امراة ونظرت حولها في حذر ثم اشارت لامرأتين اخريين في الخارج . كانت الأميرة جوان ابنة الملك .. كانت قصيرة وسمينة وكانت عيناها واسعتين زرقاوين وجلدها لونه أصفر ، وشعرها طويل ذهبي . لم تكن جميلة .. وكانت ترتدى ثوبا من الحرير الأخضر القاتم جعلها تبدو أقل جمالا مما هى عليه .

كان الملك لويس يأمل ان يزوج ابنته جوان لدوق اورليان ولكن الدوق لم يكن يوافق على هذه الخطة ، حتى ذلك الوقت .

دخلت سيدتان اخريان القاعة وراء الأميرة .. كانت احداهن ليدى ايزابيل ، وكان كوينتن مندهشا لأنه ظنها ابنة صاحب الخان . أما الآن وهو يراها ترتدي ملابس سيدات الطبقة العليا فقد بدا جمال وجهها النبيل واضحا لعينيه . وتعجب كيف أخفى عنه ثوبها حقيقة شخصيتها . غير أن ثوبها الآن كان فى مثل بساطة

ثوبها الأول تقريبا حيث كانت ترتدى ثوبا اسود داكنا ولم تكن تضع اية حلي ٠

كانت السيدة الثانية التي تبعت الأميرة جوان داخل الغرفة وتدعى هاملين اكبر سنا ٠٠ كانت تبلغ نحو خمسة وثلاثين عاما وكان من الممكن ملاحظة آثار جمال مضى عليها وكان واضحا من طريقتها في الحركة والحديث انها تظن نفسها جميلة ٠ كانت طويلة القامة ومغرورة ٠

قالت ليدى هاملين شيئا بصوت منخفض في اذن رفيقتها ٠٠ استدارت ليدى ايزابيل ناحية كوينتن ونظرت اليه ٠ وظنها كوينتن تبتسم له ٠ ربما كانت ليدى هاملين تتساءل ان كانت تستطيع الكلام دون خوف من أن يفهم كلامها أحد ٠

قالت ليدي هاملين للأميرة جوان : أنا سعيدة لأنه قد سمح لنا في النهاية بلقائك ٠٠ لا أستطيع ان أقول ان الملك لويس كان كريما معنا حتى هذه اللحظة ٠ لم

يكن يسعدنا الاختباء في خان صغير في القرية · ومنذ مجيئنا الى هنا كنا نعامل معاملة السجناء ولا يسمح لنا بمغادرة حجراتنا قبل غروب الشمس ·

اجابت الأميرة جوان : يؤسفني حقا أننا لم نستطع استقبالكما بالشكل اللائق · ارجو أن تكون ليدي ايزابيل راضية !

اجابت ليدي ايزابيل : كنت راضية ·· فقد طلبت الأمان فقط ووجدت السلام والهدوء ايضا ! ·· كان الملك كريما لاهتمامه بنا ·

صاحت ليدي هاملين : لا تكوني حمقاء ·· يمكننا أن نقول الحقيقة هنا فلا أحد يصمت الينا فيما عدا هذا الجندي الشاب الوسيم وهو يقف وكأنه مصنوع من الصخر ·· لقد قال لي الملك انه لا يفهم لغتنا لذا فنحن في مأمن · عندما جئت الى هنا كنت أتوقع أن ادعى الى الاحتفالات والعروض العامة لكنى لم التق باحد . لا أحد سوى غجري يدعى زاميت ماجروبين · ربما تكون

فكرة الملك هى ان يبقى علينا فى السجن حتى نموت لكى يستولى على أراضـــينا ·· لقد عاملنـــا دوق بورجوندي افضل من ذلك ·· لقد عرض على ليـدى ايزابيل زوجا . رغم انه كان زوجا سيئا ·

قالت الأميرة جوان : انا أفضل الموت على الزواج من رجل سيىء !

اكملت ليدى هاملين قائلة : قد تحب المرأة ان تتلقى عرضا بالزواج حتى وان لم يكن الزوج مناسبا · لقد قررت منذ زمن طويل الا اتزوج · أراك تبتسمين ولكنها الحقيقة ·

قادت الأميرة جوان السيدتين الى أحد المقاعد حيث جلسن ويتحدثن معا بصوت منخفض حتى ان كوينتن لم يسمع شيئا مما قلن ·

# الفصـــل الثـــامن

## كوينتن في مـــأزق

بعد نحو ساعة ، انفتح الباب عند طرف القاعـــة البعيد ودخل رجل يرتدي معطفا طويلا · تذكر كوينتن أوامر الملك وتحرك صوب الرجـــل ليقف بينــــه وبين السيدات ·

قال كوينتن : يجب أن تغادر الغرفة في الحال !

قال الغريب في حنق : بأمر من ؟

اجاب كوينتن في حزم : بأمر الملك · لقد امرت الا اسمح بدخول احد فى هذه الغرفة ·

اجاب الغريب وهو يخلع عنه معطفه : لا احد الا دوق اورليان !

ماذا يفعل كوينتن ؟ هل يرفع سيفه فى وجه هذا النبيل الذى سيتزوج ابنة الملك قريبا ؟

قال كوينتن : أيها الدوق ، أتعنى ان تخبر الملك أنى ابلغتك بأوامره وانى لن الام على ذلك ·

قال اورليان : لن تلام على ذلك ·

ثم تحرك صوب السيدات الثلاث وانحنى أمامهن قائلا : لقد تناولت غدائى مع دونوا وقد قال لى انكن فى هذه القاعة · أرجو ان تسمحن لى بالانضمام اليكن ·

بدت الأميرة جوان جميلة لوهلة حين دبت الحمرة فى وجهها فرحا · أشارت الى مقعد بجوارها وسألت الدوق أن يجلس معهن ·· لكن الدوق جلس ارضا عند اقدام ليدى ايزابيل الجميلة ولم يتحدث الا معها ·

مر بعض الوقت ولم تعد الأميرة جوان قادرة على حمل ذلك · ألقت بنفسها الى الوراء في مقعدهـــا وأصدرت صوتا منخفضا ·

نظر اليها الدوق سائلا : هل انت مريضة أيتهـــا الأميرة ؟

قالت : ألم مفاجيء · سوف أتحسن بعد قليل !

كانت تبدو حقا مريضة · هب الدوق مسرعا وجرى ينادي لأتباعها - ولكن بينما هو يجرى دخل الملك الى القاعـــة ·

نظر الملك الى دوق أورليان وقال : اذن فأنت هنا !

ثم استدار صوب كرينتن وقال : ألم أعطك أوامرى ؟

قال الدوق : لا تلم هذا الشاب ياسيدى · لقد نفذ الأوامر ولكن قيل لى ان الأميرة جوان فى هذه الغرفة ·

قال الملك : وماذا في ذلك ، هل كنت متلهفا للقائها حتى انك اقتحمت الغرفة ؟

كان يسر الملك ان يدعي الدوق انه يحب ابنته رغم انه يعلم تماما انه لا يحبها ٠

رفع الدوق راسه كانه ينوي الرد لكنه توقف ٠

قال الملك : هل جوان مريضة ؟ لا تبتئس ياعزيزي الدوق . سوف تتحسن قريبا ٠ اعطها ذراعك وقدها الى غرفتها وسوف اقود هاتين السيدتين الى غرفهما ٠

كان الدوق مضطرا للطاعة وغادر الجميع القاعة ٠

بعد دقائق قليلة عاد الملك حاملا مفتاحا كبيرا ٠٠ اغلق الباب الذى خرجوا منه ثم سار صوب كوينتن دوروارد فى هدوء وعيناه مثبتتان على الأرض ٠

قال الملك وقد توقف على بعد ياردة من الجندى الشاب : لقد اخطات ٠٠ لقد اخطات بشدة ويجب أن تموت ٠٠ لا . لا تتفوه بكلمة واحدة ! ماذا يهمك انت لو كان الرجل دوقا او خادما ؟ لا تهتم لشىء غير اوامرى ٠

قال كوينتن : ولكن ماذا كان فى وسعى ان افعل ياســـيدى ؟

ـ ماذا كنت ستفعل لو ان رجلا تعداك واقتحم المكان ؟ .. لماذا تحمل سيفا ؟ كان يجب ان تستخدم سيفك .. كان الافضل ان تموت فى هذه القاعة بدلا من ان تدعه يمر . اذهب الى هذا الباب عند نهاية السلم سوف تجد غرفة اوليفر دين . ارسله الى ثم اذهب الى غرفتك .. واذا كنت تريد ان تبقى على قيد الحياة . تتفوه بكلمة واحدة عما رايت هذه الليلة !

# الفصـــل التاسع

## خدعـــة المـلك

عندما دخل أوليفر بين القاعة وجد الملك جالسا على نفس المقعد الذى كانت تجلس عليه ابنته منذ دقائق .. ولأنه خدم الملك زمنا طويلا فقد عرف أن سيده غاضب . لم يقل شيئا ولكنه تحرك مبتعدا عن نظره فى انتظار أن يحدثه الملك .

قال الملك اخيرا : اذن يا اوليفر ، هذه هى خططك

المحكمة ·· خطط محكمة ! ·· تختفي كما يختفي الدخان بفعل الريح ؟

قال اوليفر : يؤسفني الا يسير كل شيء بصورة طيبة يا سيدي ·

صاح الملك وهو يهب من مكانه ويذرع الأرض جيئة وذهابا : تسير بصورة طيبة ! ·· كل شيء سيء ·· اسوأ ما يكون ·· لماذا نصحتني بان احمي هاتين السيدتين ؟ ·· ان دوق بورجوندى يستعد بجيوشه وربما تحالف مع انجلترا لمهاجمتنا ·· انها غلطتك ·· انت الذى قلت لى انه من الحكمة استقبال السيدات ·· وانت الذى نصحتنى بان استخدم هذا الرجل زاميت ماجروبين ليحمل اليهن الرسائل ·

اجاب اوليفر : انت تعرف الأسباب التى دفعتنى الى ذلك ياسيدى ·· ان اراضى ليدى ايزابيل تقع بين بورجوندى وبين فرنسا ، كما ان قلعتها حصينة جدا ·· لو كانت فى صفنا فسوف تساعدنا كثيرا ضد

دوق بورجوندى . يجب أن تتزوج شخصا من أصدقاء ملك فرنسا !

ـ لو اننا استطعنا ابقاءها هنا حتى نرتب لمثل هذه الزيجة لكان ذلك أمرا طيبا . ولكن هذا الزاميت ماجروبين ! .. لماذا جئت بمثل هذا الرجل ليؤدى عملا يتطلب الثقة ؟

اجاب أوليفر : التمس منك ان تتذكر يا سيدى انه انت الذى وثقت به الى حد بعيد . لقد قلت اننا لا يجب ان نثق به ولكنك وثقت به . لقد اكتشف سرنا واخبر دوق بورجوندى وتسبب ذلك فى كل هذه المشاكل .

قال لويس : اشعر بالخجل الشديد ! ولكن ماذا نفعل ؟ لا يمكن ان نستبقيهما هنا لأن ذلك من شأنه ان يعرقل تنفيذ خطتى لزواج الأميرة جوان .. هذه الليدى ايزابيل ! .. لقد رآها دوق أورليان عدة دقائق فقط . ولكنى واثق ان رؤيتها سوف تجعل زواجه من ابنتى أمرا عسيرا .

ـ تستطيع أن تعيد السـيدتين الى بورجوندى وتبادر بالسلام مع الدوق ٠

اجاب الملك : ولكن عندئذ لن ننفذ خطتنا الثانية ٠٠ وهى أن تزوج ليدى لأحد اصدقاء فرنسا ٠ ولكن أين أجد مثل هذا الصديق ؟ اننى لا اثق فى رجـل واحد !

قال أوليفر : ربما هى لا ترغب فى الـزواج من لامارك ٠

اجاب الملك : لا أظن أن لامارك سوف يسمح لها بالاختيار ٠

ـ ولكن كيف ندبر له فرصة لقائها ؟ انت تعرف ياسيدى انه لا يجرؤ على مغادرة غابته ٠

قال الملك : يجب أن نرتب لذلك ٠ يجب أن نقول للسيدتين اننا لا نستطيع استبقاءهما زمنا طويـلا فى البلاط لأن ذلك سـوف يسـبب حربا بين فرنسـا وبورجوندى ٠٠ يجب أن نقول لهما ان هذا هو سبب مغادرتهما لمملكتنا ٠

قال اوليفر : سوف تظلبان الانتقال الى انجلترا ٠

اجاب الملك : لا ، لا ٠ لا يمكنهما الذهاب الى هناك ٠ يجب أن يرحلا سرا الى لياج ٠ ان اسقف لياج صديق دوق بورجوندى ٠٠ لكن شعب لياج يخطط للاستيلاء على القلعة لكى يحكم نفسه بنفسه ٠٠ وقد ساعدته سرا فى خططه هذه ٠٠ دعنا نرسل السيدتين الى لياج ونخبر لامارك فى نفس الوقت برحلتهما ٠٠ يمكنه عندئذ الامساك بهما وهما فى الطريق ، او اذا بلغا لياج سوف يكون ذلك سببا لكى يساعد لامارك اهل لياج ضد عدونا الاسقف ٠ هل تعجبك هذه الخطة يا أوليفر ؟

قال أوليفر : خطة محكمة ٠ ولكنى أشفق على الليدى ٠٠ ان أقل خادم عندك سيكون زوجا مناسبا لها اكثر من لامارك ٠

أجاب الملك : « ويليام دو لامارك من أسرة نبيلة مثل اسرتى ٠ يجب أن أخبر السيدتين الآن بالرحلة السرية ٠ ويجب أيضا أن أرسل خطابا الى لامارك لكى

يختار الوقت والمكان المناسبين لمغازلة زوجة المستقبل ·
أعرف شخصا مناسبا للسفر مع السيدتين ·

قال أوليفر : هل لي أن أسأل من تنوى ارساله ؟

أجاب الملك : رجل لا أصدقاء له ولا عائلة في فرنسا يعرف القليل عن هذا البلد ولن يخمن خطتي ·· رجل سوف يفعل فقط ما آمره به · انني أنوى ارسال الشاب الاسكتلندي الذى رأيته الآن !

ـ هل أنت متأكد من اخلاص هذا الشاب ؟

ـ سوف أحرص على الا تواتيه الفرصة الخيانة لأنه لن يعرف سوى أنه سوف يصطحب السيدتين الى أسقف لياج ·· لن يعرف شيئا عن وليام دولامارك ولن يعرف أحد بهذا السر سوى الدليل · يجب أن تجد الشخص المناسب ليداهم على الطريق !

# الفصل العاشر

## هجوم على الطريق

في صباح اليوم التالي استدعى كوينتن الى غرفة لورد كراوفورد . ورأى لدهشته الملك هناك . بدأ الملك يتحدث عن « الشرف » و « الثقة » و « طاعة الأوامر » .. خاف كوينتن أن يطلب منه الحراسة مرة ثانية كما حدث في الليلة الماضية . ثم فرح كثيرا حين سمع أنه سوف يصحب ليدي ايزابيل وليدي ماملين الى بلاط أسقف لياج . وقد أعطى ورقة دونت بها الأوامر الخاصة

برحلته . أين يبقى كل ليلة .. والطريق التى يجب اتباعها .

ابتهج كوينتن كثيرا حين جال بخاطره أنه سيكون شديد القرب من ليدي ايزابيل . ولم يكن يخالطه شك أنه يستطيع ايصالهما بنجاح حتى نهاية الرحلة .

وقد أمر أن يستعد للرحيل هذه الليلة .

وفى تلك الليلة قبل الثانية عشرة ببضع دقائق ، وقف كوينتن فى الساحة خارج البرج الأكبر الذي تقيم فيه السيدتان . وجد هناك فى انتظاره رجالا وجيادا . لم يكن أحد يتكلم . امتطى الرجال جيادهم فى صمت وكانوا ثلاثة . ثم جاء تريستان واسر لكوينتن أن أحد الجنود سوف يقودهم فى الليلة الأولى وسوف يلحق بهم المرشد الآخر فى الطريق .

تحركت الاضواء خلف نوافذ البرج ثم فى النهاية انفتح باب صغير وخرجت منه ليدى هاملين وليدى ايزابيل ومارتون الخادمة التى زودهما بها الملك .

امتطين الجياد المعدة لهن فى صمت وتحرك الركب صوب البوابة ، حيث كان هناك رجل يخفى وجهه ٠

قالت له ليدى ايزابيل : لتباركك السماء يا سيدى على كرمك ٠ لقد كان أملى كله أن أظل آمنة فى حماية أسقف لياج الطيب ٠

لم تتلق ردا ٠ وفكر كوينتن أن الرجل الذى كانت تتحدث اليه هو الملك نفسه ٠

عبروا البوابة متجهين صوب الغابة ٠ ظهر القمر خلف السحاب وألقى بضوئه الفضى على الأرض ٠ كان بامكانهم رؤية نهر اللوار ينساب بين ضفتيه اللتين تحفهما القلاع والحدائق فى أغنى وديان فرنسا ٠٠ وعند الأفق كانوا يستطيعون رؤية أسوار مدينة تور تقف فى ضوء القمر بيضاء اللون ، وأبراج كنيستها العالية ٠ ثم ساد الصمت ٠

سار الركب بالسيدات عدة ساعات وخاف كوينتن ان يصيبهم الارهاق فسأل الجندى عن مكان استراحتهم القادمة ٠

ـ سوف ادلك اليه بعد نصف ساعة ٠

اجاب كوينتن : ثم تتركنا بعد ذلك ؟

اجاب : نعم ياسيدى ٠٠ سوف يقابلكم مرشد آخر هناك ٠

اختفى القمر الآن وبدا ضوء النهار الوردى ينير السماء وينعكس على مياه بحيرة صغيرة كانوا يسيرون على ضفافها ٠ كان الوادى الفسيح يمتد خلفهم وامامهم تمتد الغابة ٠

فجاة سمع كوينتن السيدات يصرخن معا :

انظر خلفك ! انظر خلفك ! بحق السماء ! خذ حذرك ! انهم يطاردوننا !

نظر كوينتن خلفه بسرعة ورأى رجلين مسلحين فى أعقابهم ، يقودان جيادهما بسرعة شديدة الى حد أنهما اقتربا من الركب ٠ سأل كوينتن أحد الجنود :

من هؤلاء ؟ ٠٠ هل تظن انهما من رجال الملك ؟

**قال الرجل** : لا · انهما ليسا من الجنود · أخشى ان يكونا من الأعداء ·· انهما من النبلاء !

التفت كوينتن الى السيدات **قائلا** : تقدمن ناحية الغابة ولا تسرعن ·· لا تدعن احدا يظن أنكن تهربن ·· سوف نبقى نحن هنا لنلاقى هذين الرجلين ونعرف من يكون ·

**استمرت السيدات فى طريقهن** ·· وبعد عدة دقائق وصل النبيلان واتجه احدهما صوب كوينتن **صائحا** : أنت ، أيها الفتى ، افسح الطريق ! لقد جئنا لنأخذ السيدتين لأنكما لا تستحقان العناية بهما !

**قال كوينتن** : أود أن أعلمك أننى احمل أوامر الملك ، أستحقها أو لا أستحقها · والسيدات يرغبن فى أن يكن فى رعايتى !

**اجاب الرجل** : كيف تجرؤ ؟!

ثم استدار عائدا بجواده الى مسافة نحو مائة ياردة ·

التفت كوينتن ورأى أن السيدات كن على مسافة آمنة . ورأى ليدى ايزابيل تشير اليه بمنديلها لتمنحه القوة والشجاعة . قاد حصانه صوب الأعداء هو ورجاله ليلقاهم في منتصف الطريق . أصاب رمح أحد رجاله وقتله ، ومر رمح آخر فوق كتف كوينتن الأيمن وجرح وجهه . صوب كوينتن رمحه الى صدر عدوه والقى به أرضا . قفز كوينتن من فوق ظهر حصانه ولكن النبيل الآخر كان أسرع منه . فوصل الى الأرض قبلــــه ووقف بينه وبين صديقه صائحا : اذهب ! .. اذهب .. وارع سيداتك ! لقد تســـببن في أذى كبير هذا الصباح !

قال كوينتن : يجب أن أرى أولا من الذى أتعامل معه . يجب أن أعرف من الذى تسبب في قتل رجلى ؟

أجاب الآخر : لن تعرف ذلك أبدا . واذا بلغــك علم به فلن تحيا لتقوله .

وبينما هم النبيل برفع سيفه ليضـــرب كوينتن ، صدرت صرخة : توقف باسم الملك ! عندئذ رأى كوينتن



والقاه كوينتن على الأرض !

فى دهشة أن قائده ، لورد كراوفورد ، جاء على رأس كتيبة من الرجال ·

التفت النبيل الى لورد كراوفورد وأعطاه سيفه قائلا : كراوفورد ·· اننى أسلم نفسى لك ، ولكن أنصت الى ــ كلمة فى أذنك ــ أرجو أن تنقذ دوق أورليانز !

صاح لورد كراوفورد : ماذا ! دوق أورليانز ؟

قال دونوا : لا تسأل · انها غلطتى · لقد جئت معه لكى يختطف ليدى ايزابيل ! ·· احتجز رجالك ولا تدع احدا منهم يراه ·

أمر لورد كراوفورد رجاله بالتراجع الى مسافة قصيرة · بعد برهة ، فتح دوق أورليانز عينيه وقال بصوت واهن : هل لى أن أخاطب السيدات الجميلات ؟

أجاب لورد كراوفورد : لا · ولا كلمة واحدة !

ثم التفت الى كوينتن وقال : لقد قمت بواجبك أيها الفتى الشاب ·· ارحل وأطع أوامر الملك · فليرعك الله يابنى !

ثم أضاف : لقد بدأت تؤدى عملك فى شجاعة !

# الفصل الحادى عشر

## هل هو أهل للثقـــة ؟

وفى اثناء سير كوينتن ، التفتت اليه ليدى هاملين قائلة : اعتقد ياسيدى انك حريق لما احرزته من نصر ؟

قال : لقد شعرت بالأسف لدوق أورلياتز · سوف يرسلون به الى السجن غالبا · وربما يقتلونه !

قالت ليدى هاملين وهي تلتفت الى ايزابيـــل : لقد كان دوق أورلياتز اذن ·· لقد ظننته هو ولكننا كنا

بعيدين فلم نر بوضوح .. لو انه فقط نجح فى ذلك !
لكان من الممتع أن يختطفنا الدوق أثناء رحلتنا !

اجابت ليدى ايزابيل غاضبة : انت لا تعنين ماتقولين . يسعدنى أن ينجح صديقنا ، وأنا اشكره على صنيعه الشجاع !

قالت ذلك ونظرت الى كوينتن الذى التفت اليها فرأت الدماء تسيل على جانب وجهه .

صاحت : لقد جرح . انزل عن صهوة جوادك ياسيدى ودعنى أضمد جرحك !

اضطر كوينتن الى النزول عن جواده ، وجلس على ضفة مجرى مائى صغير بينما قامت السيدتان بتضميد جرحه . وكان علاج الجرح أكثر ايلاما من المعركة نفسها . فجرح فى الوجه أمر هين لكن الجرح الذى تتسبب فيه أصابع سيدة شابة رقيقة ربما يكون أكثر ايلاما لقلب الفتى الشاب .

كان الجندى الذى يرشدهم الى الطريق قد قتل

في المعركة · وبدأ كوينتن يشعر بالخوف أثناء السير من أن يكون قد أخطأ المكان الذى سوف يلتقى فيـــه بالمرشد الثانى · وأخيرا سمع صوت طلق نارى ورأى رجلا يقترب منهم على حصانه الصغير الذى تبدو عليه سيماء التوحش · اقترب منهم راكب الحصان وبدا أنه يحسن ركوب الخيل ، لكن ملابسه كانت غريبة · كان يحمل على جانبه سيفا هندي الصنع ، وكان وجهه أسمر اللون وعيناه سوداوين لامعتين ·

قالت السيدتان : « انه من الغجر · يبدو أنه زاميت ماجروبين · هل يثق الملك ثانية في هؤلاء الناس ؟

قال كوينتن : ســوف اســتجوبه ان اردتن ذلــك واتاكد ان كان أهلا للثقة ·

كان سؤال كوينتن الذى بادره به : هل تبحث عنا ؟

اجاب الغجرى : نعم !

ـ ولمــاذا ؟

ـ لكى أرشدكم الى لياج !

ـ لمن فى لياج ؟

اجاب : لأسقف لياج ٠٠ !

ـ وماهى الكلمات التي استطيع أن أعرفك بها ؟

قال الغجرى : هذه هى الكلمات : قتل الخـــادم الخنزير ولم يقل شيئا ٠

ـ ما اســـمك ؟

اجاب الغجرى : « خيرادين » ٠

قال كوينتن : هو رجلنا ٠ أرشدنا يا خيرادين ٠٠ سوف أتحدث معك فيما بعد ٠

ثم التفت الى السيدتين قائلا : انا متاكد أن هذا الرجل هو المرشد الذى نتوقعه ، لأنه اخبرني بشيء لا يعرفه أحد غير الملك وأنا ٠ ولكني سوف اتحدث معه اكثر من ذلك لأعرف الى اى مدى يمكننا الوثوق به ٠

اتجه صوب الرجل وساله : هـــل اثق فيـــك اذا أعطيتك مالا وفيرا ؟

اجاب الرجل : لا ، المال لا يجعلني مخلصا ٠

سال كوينتن : وما الذى يجعلك مخلصا ؟

اجاب : الطيبة ٠٠ ولكنك كنت طيبا معى !

صاح كوينتن في دهشة : وكيف ذلك ؟

ـ هل تذكر الأشجار علي قمة التل والرجل الذى انزلت جسده من الأشجار ؟ لقد كانت جثة اخى ، زاميت ماجروبين ٠

اخو زاميت ماجروبين ؟ ٠٠ لقـــد رأى زاميـت ماجروبين السيدتين في الحانة وهو الذى شنق ( لحسن حظ الملك ! ) ولهذا السبب لم يستطع كونت دوكرافكور أن يقدمه ٠ والآن يخدم اخوه خيرادين ملك فرنســـا كمرشد للسيدتين ٠ فهل يثق به ؟ من الذى يخدمـــه

خيرادين حقا .. هل هو خادم ملك فرنسا أم أنـــه خادم دوق بورجوندى ؟ الى أى مدى يمكن الوثوق به ؟ .. كان هذا هو السؤال الذى ألح على ذهـــن كوينتن .. !

# الفصل الثـــانى عشر

## الخطر الى اليســـار !

فى اليوم العاشر من الرحلة بلغ الركب بلدة نامور .. وقد فكر كويتتن أنه من الحكمة أن يسأل هنا عن الوضع في لياج . فى المساء ، عندما أوت السيدتان الى الفراش ، سار فى الحديقة مع السيد الذى يستقبلهم فى بيته . قال سائلا : هل من الأمن ان تذهب حقا الى ليـــاج ؟

نظر السيد فى حذر حوله ليرى أن احدا لا يستمع اليهما ثم أجاب بصوت منخفض : كانت هناك قلاقـــل كثيرة فى لياج رغم ان الوضع حاليا هادىء . ان أسقف لياج وهو حاكم المدينة صديق دوق بورجوندى وعضو فى أسرة الدوق . انه رجل طيب لكن أهالى ليـاج يكرهون الدوق ويرغبون فى حكم مدينتهم بأنفسهم . يقال ان ملك فرنسا أرسل رجالا لمساعدة اهل المدينة ضد الأسقف . لأن ملك فرنسا كما تعلم يعتبر الدوق أعدى أعدائه .. وفى بلدة بالقرب من لياج هناك رجل من أسرة طيبة ولكنه رجل سيىء الطباع .

قال كوينتن : هل تقصد وليام دولامارك ؟ .

أجاب السيد : نعم . وهو يدعى أيضا « وليام ذو اللحية » و « خنزير الغابة البرى » .. لقد جمع لامارك عصابة من أكثر من ألف رجل وهو يعتبر نفسه حـــرا ولا يدين بالاخلاص لا للملك ولا للدوق . انه لص . يسرق المال ممن يملكونه ولا يخاف الله ولا البشر !

قال كوينتن : ان هذا لمثير !

وبعدما غادره السيد ، استمر كوينتن فى التجول فى الحديقة مستغرقا فى أفكاره .. الملك دوق بورجوندى .. وليام دولامارك .. لمن من هؤلاء الثلاثة يخلص المرشد ؟ .. ام أنه لا يخلص لاحدهم ؟ !

بينما كان كوينتن يقف هناك ، مر شبح فى الممر وخرج من البوابـــة . كان خيرادين .. تبعه كوينتن وقال لنفسه : ان صديقى يجرى بسرعة ولكن يجب أن يجرى أسرع من ذلك لو أراد أن يفلت منى . فلأتبعه سرا وارى أين يذهب .

عبر خيرادين أحد الحقول حتى وصل الى ضـــفة مجرى مائى صغير . توقف هناك وصاح صيحة غريبة منخفضة تشبه صيحة طائر . جاءه الرد من بعيد .

فكر كوينتن : لقد دبر للقاء هنا . فلأقترب اكثر وأنصت لما سوف يقال !

هبط فى حذر فى مجرى الماء واخفى نفسه تحت

منحدر الضفة وراح يتقدم فى بطء وهدوء من المكان الذى يقف فيه خيرادين بالقرب من شجرة كبيرة تتدلى أغصانها فى الماء · رفع كوينتن رأسه فى بطء مختفيا تحت الأغصان وكان فى استطاعته أن يرى الرجل الذى يتحدث اليه المرشد · كان جنديا طويل القامة قويا ، وكان يتدلى الى جانبه سيف طويل وفى صدر معطفه شارة فضية صغيرة هى شارة قائده ·· كان يضع قبعة صغيرة على جانب رأسه ، ينسدل تحتها شعر غزير أحمر اللون مثل لحيته · وكان فى يده رمح طويل· كان كوينتن يعرف هذا الرجل ، فهو أحد جنود وليم دولامارك ·

قال الجندي : لماذا جعلتنى أنتظرك هنا طويلا ؟

أجاب خيرادين : لم اكن استطيع رؤيتك قبل ذلك ، فالاسكتلندى الشاب يراقبني · أرى أنه لا يثق بى واخشى أن يعود بالسيدتين الى فرنسا ثانية ·

ــ أوه ! اذن سوف نباغتهم غدا ·· ونختطف السيدتين قبل أن يذهبن بعيدا !

جسور ويعرف جيدا كيف يستعمل السيف · دعنـــا نحتفظ بخطتنا كما هي · سوف تهاجمنا أنت ورجالك فى حانة « الملوك الثلاثة » !

بعد ذلك ابتعدا قليلا وراحا يتحدثان بصوت منخفض ولم يتمكن كوينتن من سماعهما · بعد بضع دقائق ، استدار الجندي مبتعدا وعاد خيـــرالدين أدراجه الى البيت ·

انتظر كوينتن حتى اختفى كل منهما عن الانظار ثم عاد الى البيت من طريق بعيد ودخل الحديقــة من الجانب الآخر وعندما بلغ حجرته نظر في الورقة التي أعطيت له لتدله على الطريق الذى يسافرون منه · كان عليهم الذهاب الى لياج عن طريق الضفة اليمـــرى لنهر موز وكانت حانة « الملوك الثلاثة » فى طريقهم ·

# الفصل الثالث عشر

## تغيير فى الخطة

عندما استعدوا للرحيل فى الصباح التالى كانت سيدتان مندهشتين لصمت كوينتن ٠

**قالت ليدي هاملين :** ألم ينم رفيقنا الشاب جيدا • هل رأى حلما سيئا جعله يتحدث قليلا ويبدو حزينا ؟

**اجاب كوينتن :** نعم ، هذا حق ، فقد رايت اثنـاء الليل شيئا اقلقنى !

**سألت ليدى ايزابيل :** هل أنت مريض ؟

**قالت ليدى هاملين :** لقد سهر ليحتسي الخمر مع الرجال !

**اجاب كوينتن :** لا يا سيدتي الرقيقتين ، بالأمس لم أشرب شيئا سوى الماء • كان يجب أن اكون حذرا جدا وارجو ان تثقا بي • نحن في خطر !

**قالت ليدى ايزابيل :** اعرف ذلك منذ اللحظة التي بدأنا بها هذا الصباح • نحن نثق بك حقا • لو انك خيبت آمالنا فلن أثق في رجل بعد ذلك أبدا •

**قال كوينتن بصوت منخفض :** انني ارجو منكما ان تثقا بي وأن تفعلا ما أطلبه منكما • ان أوامر الملك تقول اننا نسافر على الشاطيء الأيسر للنهر • وأنا أطلب منكما السفر على الشاطيء الأيمن ولدى سبب قوى يدعوني الى هذا الطلب •

**قالت ليدى هاملين :** ألا نطيع أوامر الملك ؟

اجابت ليدى ايزابيل : طبعا ، لو كانت الأوامــر طيبة ، ولكن اذا كان هناك خطر ما غير متوقع يجب ان نتصرف بحكمة ، سوف نسافر علي الضفة اليمنى !

ذهب كوينتن الى خيرادين وقال له : سوف نسافر على ضفة النهر اليمنى !

اجاب المرشد : ليس هذا أفضل طريق الى لياج . وقد أمرت أن أقودكم عبر الضفة اليسرى .

قال كوينتن : سوف تقودنا الى الضفة اليمنى !

أجاب خيرادين : يجب أن أفعل ماتريد .. ويمكنك أن تشرح للملك فيما بعد لماذا عصيت أمره .

# الفصل الرابع عشر

## ليـــاج

نشرت شمس الأصيل أشعتها الذهبية فوق أسطح المنازل العامرة بمدينة لياج وكانت تفصل بين فريقنا والمدينة مسافة كبيرة • كان أسقف لياج عائدا من زيارة الى المدن المجاورة تحيط به كوكبة من اللوردات والجنود وموظفى الحكومة . تسبقه وتتبعه كتيبة من الفرسان المدججين بالسلاح • وكان من الواضح أن الأسقف لم يكن يشعر بالأمان •

بعد وقت قصير وصل كوينتن ومجموعتـــه عند الأسقف · قدم الاسكتلندي الشاب نفسه وسار الجميع صوب المدينة في أزقة ضيقة تصعد بهم الى القلعة ، حيث وضع كوينتن السيدتين في رعاية الأسقف ·

هكذا ، تمت مهمته ·

جلس كوينتن بجوار احدى النوافذ في قاعة القلعة الكبيرة وقد فاض قلبه بالأفكار الحزينة · كان يحزنه ابتعاده عن ليدي ايزابيل ، وربما لن يراها مرة ثانية · وربما أيضا يكون هذا في صالحه ، فما فائدة الأحلام أو حكايات الجنيات التي يتزوج فيها الرجـــال من الأميرات ؟ ·· فمثل هذه الأمور لا تحدث في الواقع !

وبينما كان كوينتن جالسا هناك سمع وقع خطوات فنظر عاليا ليجد خيرادين واقفا أمامه · قال : مـــاذا تريد ؟ ·· تكلم وارحل عني بسرعة !

ـ أريد مايريده الرجال كلهم رغم أن قليلين منهم يرضون بذلك · أريد راتبي !

قال كوينتن بشراسة : أتجرؤ على طلب راتبك وانت تعلم انك كنت ستسلمنا لجنود وليم دولامارك ؟ !

ـ ولكنى لم أسلمكم لجنود وليم دولامارك ·· لم يحدث أى هجوم ووصلتم الى لياج بسلام ·

أجاب كوينتن : لا ، لم تفعل ذلك لانى سلكت الضفة اليمنى للنهر ·· هاهى نقودك ·· اذهــــب الآن الى خنزير الغابة ، سيدك ·· وابتعد عن نظرى لأن سيفى حـــاد !

قال خيرادين وقد اعترته الدهشة : خنزير الغابة ؟ هل غيرت طريقك لأنك خمنت شيئا ، أو ـ آه ، كانت هناك شجرة ضخمة وقفت عندها لأتحدث مع صديق لى · يالى من أحمق ! لقد رأيتك تنظر ناحية هذه الشجرة ونحن نمر بها فى الصباح التالى · ليكن هذا درسا لى كى لا أنطق بالأسرار الا فى سهل مفتوح · ها ! ها ! لقد انتصر على الاسكتلندى الشاب !

هب كوينتن غاضبا من مقعده ولكن خيرادين لم يخف . واستدار كأنه سيرحل ثم عاد . والتفت اليه ثانية قائلا : أعرف امالك وهي آمال جسورة . ولكن استمر لأنني سوف أساعدك .. اعرف مخاوفك . كن حكيما ولكن لا تخف . يمكن أن تفوز بأية امرأة لو كنت شابا شجاعا وصادقا !

ثم في لحظة كان قد غادر القاعة .

# الفصل الخامس عشر

## العاصفة تتجمع

هناك حقيقة يعرفها كل المحبين وهى ان رحلة طويلة تريح القلب ·

خرج كوينتن الى طرقات لياج · كانت المنازل العالية تحيط به من الجانبين فى شوارع ضيقة مظلمة ، وكان الناس يسرعون فى كل اتجاه وعربات نقل البضائع تتقدم بصعوبة وهى محملة بالبضائع الثمينة · وكانت الكبارى الصغيرة تعبر عددا من المجارى المائية

المنسابة في كل مكان من المدينة . دخل الكنيسة القديمة وكان الباب مفتوحا تنساب عبره أصوات عذاب . توقف برهة هناك وراح ينظر في الظلام الذي تضيئه مصابيح متوهجة في المؤخرة البعيدة .

في النهاية استدار وراح يهبط السلم ثم اكتشف أنه وسط جمهور كبير وكانوا جميعا ينظرون اليه . كان هناك صوت همهمات غاضبة وكان الجميع ينظرون اليه في فضول . وبينما كان يتقدم كانت الجموع تفسح له مكانا ليمر ثم تعود لتلتحم مرة أخرى . وكلما تقدم زاد حجم الجموع وصارت تضغط عليه . نظر كوينتن حوله ووقع بصره على رجل ضخم الجثة يرتدي ثوبا من الحرير الأحمر ويبدو تاجرا ثريا .

قال كوينتن للتاجر : هل اخبرتني ياسيدي لماذا ينظر الي هؤلاء الناس ؟ هل هناك شيء غريب في ملبس أو هيئتي ؟ ام انها عادة أهل لياج ان يلتفوا حول أي غريب يزور مدينتهم !

**اجاب التاجر :** بالطبع لا ياسيدى فاهل لياج ليسوا من الفضول بحيث يقضون وقتهم فى النظـر الى أى غريب ، وليس هناك ماهو غريب فى ملبسك الا انـه ثوب يسعدنا أن نراه وان نبدى له احترامنا !

**قال كوينتن :** انك شديد الأدب ياسيدى ولكنـــى لا أفهم ما تعنيه .

**أجاب التاجر :** أن الطريقة التى تتحدث بها الفرنسية تنبئنى ان ظنى فى محله . أعتقد انك احد رجال الحرس الاسكتلندى الملكى ؟!

**ثم قال الرجل المهذب بصـــوت منخفض فى اذن كوينتن :** اسمى بافيون . هل تفهم ؟

**اجاب كوينتن :** لا . لا افهم . وماعلاقتى بك ؟

قال الرجل : اوه .. لاشىء . ولكنى ظننت انـك تريد أن تعرف ان باستطاعتك الوثوق بى . هذا هـو صديقى روسلير ..

تقدم روسلير وكان سمينا والتفت ناحية صاحبه قائلا : بافيون هذا المكان مفتوح جدا · يجب أن ياتي السيد الى منزلك او الى منزلي ليشرب كأس نبيـــذ معنا · عندئذ يستطيع ان يدلي لنا بما عنده من اخبار ·

قال كويلتن : ليست لدي أخبـــار لأى منكما ، ولا أرغب في شرب النبيذ · انني اسألكما فقط أن تبعدا هذه الجموع وان تسمحا للغريب بمغادرة مدينتكم في هدوء ·

قال روسلير : حسنا ·· ياســـيدي ان اردت ان تكتم الأمر فلماذا تضع هذه العلامة على ردائك وهي تدل الجميع على حقيقة شخصيتك ؟

ــ ولماذا يهمهم من اكون ؟ ما اهمية ان اكون من حرس الملك الاسكتلندى ؟ ·· لماذا تتعجبان لذلك ؟

صاح روسلير وبافيون وهما يلتفتان الى الجمع قائلين : انه من الحرس ! يقول انه من الحرس ! ·· انه من حرس الملك لويس الاسكتلندي ·· ملك فرنسا حامي حمى أهل لياج ·

علت صيحة عظيمة من الجمع المحتشد :

يحيا الملك لويس ملك فرنسا ! يحيا الحرس الاسكتلندي ! .. حقوقنا او الموت ! .. يحيا خنزير الغابة ! يسقط دوق بورجوندي ! يسقط الأسقف !

علا الهتاف حتى بلغ عنان السماء مثل البحر الهادر . كان يجب أن يفعل شيئا بسرعة . ولم يكن الهرب ممكنا . التفت كوينتن الى بافيون وقال :

انها غلطة . لقد ارتديت هذا الثوب خطأ . لا اريد أن يتعرف على احد . خذني بسرعة الى بيتك حيث أخبرك بشيء خطير !

أحدثت هذه الكلمات أثرها المطلوب ، قالا : سوف نخرجك من المدينة ويمكنك ان تعود الينا أثناء الليل . اين تسكن ؟

اجاب كوينتن : في قلعة الأسقف . لقد جئت برسالة من ملك فرنسا الى الأسقف . وهذا سبب رحيلي .

ساروا في طريق ضيق ثم فجأة امسك بافيون بذراع كوينتن قائلا : هذا هو بيتي ' •

دفعه عبر باب جانبي صغير • وعندما اصبحوا في مأمن داخل المنزل ، قدم بافيون كوينتن الى زوجته وابنته الجميلة نوردشن • احضرت الزوجة ثوبا جديدا لكوينتن بينما ذهبت الابنة نوردشن الى الحديقة لتجهز قاربا •

هبط كوينتن من القارب على بعد نصف ميل من القلعة • وما ان بلغ القلعة حتى دق الناقوس معلنا موعد العشاء • عندما بلغ القاعة الكبيرة كان الجميع قد اتخذوا اماكنهم • شرح كوينتن سبب تأخره وقص عليهم ماحدث لهم وعندما انتهى من قصته راح يضحك عاليا •

ولكن احدا من الحضور غيره لم يضحك •

خيم الصمت على الجميع ثم قال الاسقف في النهاية : اتمنى ان تأتي كتيبة المائة فارس التي ارسلها دوق بورجوندي بسرعة !

# الفصل السادس عشر

## هبــوب العاصفــة

كان كوينتن نائما يحلم احلاما غريبة . مثل تلك الأحلام البراقة التي تداعب خيال الشباب . كان يحلم انه سائر مع ليدى ايزابيل على شاطىء بحيرة هادئة يسطع ماؤها من ضوء شمس الصيف . مثل تلك البحيرة التي تنساب مياهها بالقرب من بيته فى اسكتلندا البعيدة .

كان يبثها حبه وكانت تبتسم وهى تنصت اليه . ثم

تبدل كل شيء فجاة · لم يعد الوقت صيفا بل شتاء هبت الريح عاتية وقامت عاصفة على سطح البحيرة التي علت أمواجها ومنعتهما من المرور ·· ولم يعد في امكانهما التقدم أو التقهقر · احاطت بهما الأمواج الهادرة من كل مكان وظلت تعلو وتعلو ·· ثم استيقظ من نومه ·

استيقظ حقا لكن الحلم كان مستمرا · كان صوت العاصفة لايزال في أذنيه · ثم ادرك أن هذا الصوت حقيقي . لم يكن صوت الأمواج ولكنه صياح آلاف من الرجال الثائرين · قفز خارجا من فراشه واطـــل من النافذة · كانت النافذة تطل على الحديقة وكان كل شيء هادئا على هذا الجانب · كانت الأصـــوات تاتي من الخارج · وكان هناك هجوما على القلعة ! أسرع بارتداء ملابسه وبينما هو يفعل ، انفتح الباب وأسرع خيرادين نحوه وهو يحمل مصباحا في يده ·

ــ أهل المدينة يهجمون على القلعــة ومعهــم وليم دولامارك ·· اذا أردت انقاذ ليدي ايزابيل اتبعني !

قال كويلتن في عجلة : تقدم وسوف اتبعك · ولكن اذا حاولت خداعي سوف افصل بسيفي رأسك عن جسدك في لحظة ·

هبط خيرادين السلم بسرعة وعبرا غرفا كثيرة حتى بلغا حديقة صغيرة · وعندما خرجا الى المكان المفتوح صار الهتاف أعلى بكثير ، وكان باستطاعة كوينتن ان يتبين صيحات القتال : « لويس ! فرنسا ! الملك لويس ! » ·· « لامارك ! الخنزير البرى ! خنزير الغابة ! » ·· بينما تعالت صيحات ضعيفة من الجانب الاخر ، جانب المدافعين ·

عبرا الحديقة ودخلا من باب صغير يفضى الى حجرة السيدات · أعطى خيرادين اشارة فخرجت امرأتان وضعت احداهما يدها في ذراع خيرادين وكانت تخفي وجهها ، وسارت الثانية مع كوينتن ·

قادهم خيرادين عبر ممر طويل يفضى الي باب فى الجدار ، هذا الباب يؤدى الي المجرى المائى المحيط بالقلعة · وبينما كانوا يقفون هناك قلت صيحات

الانتصار تتعالى واصبح من الواضح أنهم استولوا على على القلعة ٠

عبروا المجرى المائى بسرعة ٠٠

**صاح خيرادين :** انظروا ! الجياد تنتظرنا تحت هذه الأشجار !

**قال كوينتن :** هناك حصانان فقط ٠

**اجاب خيرادين :** هذا كل ما استطعت الحصـــول عليه ٠ وهو كاف ٠٠ يجب ان تتجها أنتما الاثنان الى « تونجر » قبلما يصبح الطريق خطرا ٠٠ وتســـتطيع مارتون أن تظل معى فهى اختى » ٠

**صاحت ليدى هاملين :** مارتون ؟ أختك ! أليســت ليدى ايزابيل ؟

**اجاب خيرادين :** لا انها مارتون ، خادمتك ٠ لــم أجرؤ على اختطاف السيدتين من خنزير الغابة البرى ٠

**قال كوينتن :** اذن فقد خدعتنى ! لكــن لــم يفت

الأوان بعد ! سوف أعود أدراجي · هل ليدى ايزابيل لازالت في القلعة ؟

اجاب خيرادين : نعم · ولكن أنصت الى ·· اذا عدت الى القلعة فسوف تلقى حتفك · انها في مأمن هناك · وليم دولامارك في حاجة الى زوجة ثرية ·

لطمه كوينتن على وجهه ·

قال خيرادين : اذهب اذن · اذهب وليصحبك الشيطان !

# الفصل السابع عشر

## انقـاد ليدى ايزابيـل

فوجىء الجنود داخل القلعة بهجوم اهل المدينة مع لامارك وكان عددهم قليلا ، وبعضهم من الموالين للأعداء .. دافعوا عن القلعة وقتا قصيرا ثم استسلموا للعدو .. واندفع كثيرون منهم من فوق اسوار القلعة الى الماء خارجها . بينما اتجه عدد قليل من المخلصين الى البرج فى وسط القلعة واستمروا فى الدفـاع عن الأسقف .

اندفع أهل لياج داخل القلعة ودار قتال وحشي في فناء القلعة الكبير ·

عندما عاد كوينتن الى القلعة رأى رجالا يسقطون من أعلى الأسوار ، وآخرين يدفعهم أهـــل المدينة من فوقها · لم يكن هناك وقت للبحث عن قارب يعبر بـــه المجرى المائى · قفز في الماء وراح يعوم بينما حاول كثير من الغرقى التشبث به ، ولكنه كان يدفعهم بعيدا عنـــه ·

أخيرا ، تشبث كوينتن بحافة الكوبرى ودفع بنفسه خارج الماء · وما أن فعل ذلك حتى اندفع نحـــوه أحد رجال لامارك شاهرا سيفه ·

صاح كوينتن : توقف ! هل هذه طريقة تساعد بها صديقا لك ·· أعطنى يدك واجذبنى خارج الماء !

مد الجندى يده وجذب كوينتن فوق الكوبرى · كان من الضرورى التخلص من هذا الجندي الآن قبلما يبدأ فى طرح الأسئلة ·· قال الاسكتلندى : اذهب الى



وبدات الحرب بين الفريقين

البرج الغـــربي .. أســرع ان كنت تريد الثراء ، فكنز الأسقف موجود هناك !

صاح الجندي : الى البرج الغربي ! وفي لحظــات قليلة كانت صيحته تدوي في ارجاء الفناء . « الى البرج الغربي ! كنز الأسقف ! » ..

عبر كوينتن الحديقة بخطى مسرعة وبقلب واجف . وما ان بلغ الجانب الآخر حتى أسرع نحوه ثلاثة من الرجال يحملون الرماح هاتفين : « لباح ! لباح ! » اجابهم كوينتن : « فرنسا ! فرنسا ! فرنسا صــــديقة لبـــاج ! » .

صاح اهل المدينة وهم يمرون : يحيا ملك فرنسا !

ثم قابله اربعة او خمسة من رجال لامارك فتعامل معهم بنفس الطريقة . واخيرا وجد الباب الجانبـــي الصغير الذي جاءت منه مارتون وليدى هاملين . كانت هناك ثلاثة او اربعة جثث تعترض طريق الباب . ابعد اثنتين ، ولكن الثالثة امسكت فجأة بذراعه . رفـــع

كوينتن سيفه فصاح الرجل : توقف ' انا بافيـــون ! انقذني !

قال كوينتن : هل انت مجروح ؟

قال بافيون : لا . لست جريحا ·· ولكن هذه الدروع ثقيلة جدا لدرجة اني فقدت انفاسي ولم أعد استطيع الهروب ·

ـ اجلس هنا وسوف تتحسن حالتك عما قريب ·· ساعود بعد برهة وجيزة !

قال بافيون وهو لازال يمسك به : الى جانـب من تحارب ؟

اجـاب كوينتن وهـــو يحـاول التخلـص منـه : الى جانب فرنسـا ! الى جانب فرنسا '

قال بافيون : حسنا ياصديقي . سوف اجمع بعضا من رجالنا لمساعدتك ·· آوه . يالها من ليلة رهيبة !

صعد كوينتن الدرج مسرعا وتبعه بافيـــون في

بطء . نادى على ليدى ايزابيل بصـــوت منخفض فى البداية ثم بصوت عـال ، وكلمـا تضـاءل الأمـل علا صوته .

واخيرا ، نظر خلف احدى الســتائر فوجد بابا صغيرا . اندفع يضرب البـــاب مرة وراء مرة حتى انفتح ، فسقط داخل الغرفة . هناك ، رأى امرأة راكعة على ركبتيها تصلى . عندما تقدم نحوها ألقت بنفسها على وجهها طلبا للرحمة . اسرع برفعها عن الأرض وكم كانت سعادته حين وجدها ليدى ايزابيل . ضمها الى صدره وصاح : لا تخافى . ســوف أقوم بحمايتك !

قالت : دوروارد .. هل أنت حقا هنا ؟ اذن فــلا زال هناك أمل . لقد ظننت أن كل أصدقائى تركونــى لأواجه مصيرى . لا تتركنى !

وأمسكت بيديه . وقال كويلتن :

لن اتركك ابدا .. أبدا ! مهما يحدث ومهما تكــن المخاطر . ســوف اظل الى جوارك !

# الفصل الثامن عشر

## خطة الهروب

قال صوت غليظ خلف كوينتن : جميلة جدا ! ‥ جميلة جدا جدا ! ‥ قصة حب صغيرة على ما أظن ! ‥ انني أشفق حقا على السيدة الشابة كما لو كانت ابنتي ترودشن ٠

كان بافيون يقف هناك مبتسما لليدى ايزابيل وكوينتن ٠

قال كوينتن : يجب أن تفعل شيئا أكثر من مجرد

الشفقة . يجب أن تساعدنا . لقد وضع صديقك ، ملك فرنسا ، هذه السيدة تحت رعايتي . يجب أن تساعدني لانقاذها . يجب أن نحميها من وليم دولامارك خصيصا .

قال بافيون : سيكون هذا صعبا ، لان رجاله شياطين في العثور على الكنوز والنساء ، ولكني سأبذل قصارى جهدي " انتظر . سوف أجمع بعضا من اهالي المدينة الطيبين !

ذهب الى النافذة وصاح : لياج ! لياج !

هرع اليه رجل او رجلان من رجاله وتبعهما آخرون بعد قليل ووقفوا يحرسون الباب .

كان القتال الآن قد أوشك على الانتهاء . دق ناقوس القلعة الكبير يدعو الجنود للتجمع ولكن بافيون ظل في مكانه وأرسل احدهم لاحضار صديقه بتركين جسلير . بعد دقائق قليلة حضر بتركين . كان رجلا قصيرا سمينا ذا وجه مربع .

قال بافيون : بتركين ياصديقى ، انه يوم عظيم في تاريخنا ! ارجو أن تكون راضيا .

قال بتركين : انا راض بما فيه الكفاية ولكن فيم انتظارك هنا ؟ يجب أن تذهب الى حيث يجتمع الجنود .

قال بافيون : هل أنا مطلوب هناك ؟

قال بتركين : بالطبع . ان حقوق الشعب في خطر اكثر مما مضى ، فهى في خطر الآن من وليم دولامارك لقد اغلقت كل ابواب القلعة الآن وقام على حراستها رجال لامارك .. ولا يمكننا نحن أهالى المدينة ان تخرج .

سال بافيون : ولماذا اغلق الأبواب ؟

أجاب صديقه : يقال ان هناك سيدتين من النبلاء هنا فى القلعة . ويقال ان رجال لامارك يبحثون عنهما . لامارك نفسه يشرب الخمر مع جنوده في القاعة الكبيرة .

قال بافيون : وماذا تفعل اذن ؟

**قال بتركين :** انصت • اذهب الى لامارك واطلب منه أن يرسلك أنت وخادمك وابنتك خارج القلعـــة • لا يحق له أن يحتفظ بك هنا سجينا • قل له هذا ولا تظهر له أنك خائف •

**قال بافيون :** أنا وابنتي وخادمي ؟

**أجاب كوينتن :** نعم • انا خادمك حقا وهذه السيدة سوف تناديك بأبي طالما نحن في هذا المكان •

**صاحت ليدى ايزابيل وهي تلقي بنفسها عند اقدامه :**

أوه ، ساعدني وسوف احبك وأصلي من اجلك مدى الحياة • فكر ! •• لو أن ابنتك ركعت أمام رجل غريب تسأله أن يمنحها الحياة والكرامة ! •• فكر في ذلــك ودافع عني كما كنت ستفعل من أجلها !

**قال الرجــل الكريــم الــذي أثــرت فيــه كلماتها :** هذا حق • أعتقد أن هذه السيدة في مثل جمال ابنتي ترودشن ، وعندما يتعلق الأمر بالحب الحقيقي فانني

أكون دائما راغبا في المساعدة · والآن ياسيدتي ضعي هذا الثوب فوق رأسك وأخفي وجهك · تعالي معي !

قال كوينتن مخاطبا ليدي ايزابيل وهما يعبران الفناء الذي تناثرت فيه جثث القتلى والجرحى : تشجعني . فانقاذك يتوقف على شجاعتك ·

قالت : ليس على شجاعتي ولكن على شجاعتك أنت وأنت وحدك · لو أنني نجوت من هذه الليلة الرهيبة لن أنسى أبدا من كان السبب في انقاذي · ولكن هناك شيئا واحدا أرجوه منك ·

قال كوينتن : وماهو ؟ ماذا تطلبين مني ولا أنفذه لك ؟

قالت : اتوسل اليك أن تغمد سيفك في قلبي أفضل من أن تتركني أسيرة بين يدي لامارك ·

كان رد كوينتن الوحيد هو أن يضغط على يدها · وبدا له أن أصابعها تجيب على رسالته ·

# الفصل التاسع عشر

## مـوت الاسـقف

بلغوا اخيرا أبواب القاعة الكبيرة ..

قال بتركين : تشجع ياسيدى . تشجع بكل قلبك والا ضعنا جميعا !

كانت الضوضاء والصياح وأصوات غناء متوحشة تأتى من الداخل . اعترض احد الجنود طريقهم فقال بافيون : أنا بافيون احد قادة رجال لياج !

بدا الجندي وكانه يشك في كلامه ثم سمح لهم بالدخول •

قال لامارك وهو يضحك عاليا : . حسنا ياسيدي اخيرا جئت وانت تصطحب امراة جميلة - من هذه المراة الجميلة ؟ .. دعني ار وجهها '

اجاب بافيون : انها ابنتي ياسيدي !

قال لامارك : اجلس ' ربما عندما تستريح يقل خوف ابنتك وتسمح لي بان تستمتع عيناي بجمالها • احضر الأسقف '

ادخل بعض الجنود الأسقف الى القاعة كانت ثيابه ممزقة وكانت الدماء تسيل من وجهه لتلطخ ذقنه البيضاء ..

وكانت الاحداث التي تلت ذلك احداثا رهيبة •

قام لامارك ونظر الى اسيره قائلا :

لقد سالتك ان تصبح صديقي وقد رفضت ' وطلبت

منك أن تعاونني ولكنك لم تفعل . فماذا أنت فاعل الآن لتهرب من الخطر المحدق بك ؟

قال الاسقف : انصت الي ! وانصتوا الي جميعا أيها الرجال الشرفاء ! لقد تسببتم في ثورة أهل هذه المدينة ضد حاكمها . ولقد قتلتم شعبي واغتصبتم اموالي وصرعتني جنودكم وسخروا مني . وخالفتم قانون الانسان وقانون الرب !

قال لامارك في توحش : هل انتهيت ؟

اجاب الأسقف : لا . فأنا لم اجبك على سؤالك .. لقد سألتني ماذا انا فاعل لكي انجو من ساعة الخطر هذه . وهانا أجيبك : ماذا انت فاعل لكي تصلح الخطأ الذي تسببت فيه ؟ الق باسلحتك واطلق سراك وعد الأموال واعط كل ماتملك للفقراء ثم اركع على ركبتيك وصل .. افعل هذا ربما تنجو روحك من نار جهنم الحامية !

كان الاسقف يتحدث في كبرياء كحاكم يتحدث الي

خادمه · وعندما كف عن الكلام ضربه أحد رجـــال لامارك فخر الرجل العجوز صريعا على الأرض ·

هب أهل المدينة صائحين في غضب على هذا العمل الوحشي فصاح لامارك مغطيا على صياحهم : استمعوا الى ايها الناس ، أيها الشعب المسكين · هل تجرؤون على الوقوف ضد خنزير الغابة ؟ ·· انهضوا يارجالي ! ·· وليرَ هؤلاء الناس ماذا يستطيع أن يفعل رجـال الغابة !

استل جنود لامارك سيوفهم ووقفـــوا على اهبـة الاستعداد لضرب أهل المدينة ·

كان الجميع يحملون السلاح ولكـــن احدا لـــم يستخدمه ·

استل كوينتن أيضا سيفه وأمسك بكارل ابن لامارك وصوب سيفه الى قلب الصبي صائحا : هل هذه لعبتك ؟ اذن فلالعبها أنا أيضا !

صاح لامارك : توقف ! توقف ! لم اكن اعني ماقلت

•• هل تظن انى اصيب أصدقائي بالأذى ، أهل هذه المدينة ؟ أيها الجنود ، ضعوا سيوفكم جانبا • اجلس وابعد هذا الشيء •

وأشار بقدمه الى جثة الاسقف ••

دعونا نشرب • دعونا نقضى الليل فى الاحتفـــال والغناء !

ساد الصمت برهة من الوقت ثم تقدم كوينتن قائلا : أنصت الى ، وليم دولامارك ، وأنتم يا أهل لياج ! وأنت أيها الفتى الصغير •

وكان كارل يحاول التخلص منه ••

لن يصيبك أى اذى الا اذا حاول أبوك أن يخدعنا •

قال لامارك : من أنت ؟ وكيف تجرؤ على أن تفعل ذلك ؟!

قال كوينتن فى شجاعة : « أنا خادم الملك لـويس ملك فرنسا •• أنا جندي من الحرس الاسكتلندى كما

ترى من ملبسى . لقد بعثت الى هنا كي أقدم تقريرا عن أفعالك لسيدي .. وأرى أن أفعالك ماهى الا أفعال رجل مجنون . فلن يلبث جيش دوق بورجوندى أن يتحرك ضدكم .. ولو أردت مساندة فرنسا يجب أن تتصرف بشكل مختلف . أما أنتم يا أهالي لياج فأنا أنصحكم بالعودة فورا الى مدينتكم واذا حاول أحد ان يمنعكم فسوف أخبر ملك فرنسا بذلك .

صاح أتباع باغيون : فرنسا ولياج ! فرنسا ولياج !

شعر أهل المدينة بشجاعة أكبر حين سمعوا حديث كوينتن فراحوا يصيحون : فرنسا وليـــاج ! يحيـــا الاسكتلندي الشجاع .. نموت ونحيا مع الاسكتلندى !

نظر وليم دولامارك حوله الى رجاله وكان الكثيرون منهم فرنسيين ، وكلهم يعرفون ان قائدهم يتلقى المعونة من الرجال والأموال من ملك فرنســـا . وقد رأى أن مقتل الأسقف قد أخافهـــم وكان يعرف أنه لا يستطيع التأكد من طاعتهم لأوامره . فابتسم ابتسامة صفراء وقال :

– ان رجال مدينة لياج اصدقائي وهم احـــرار بالطبع في مغادرة القلعة ان أرادوا ذلك · لكني أرجو أن يشرفني الاسكتلندي النبيل في هذه المأدبة وأن يظل هنا حتى المساء !

شكر كوينتن لامارك وقال انه يجب أن يرحل مع بافيون ، وأن ملك فرنسا أمره أن يرافقه بشكل خاص · وقال بافيون : ان كان يجب ان تبقى معي ، عليك أن تغادر القلعة الآن ·

ثم استدار مخاطبا رجاله : ابقوا قريبا مني ايهـا الرجال وسوف نغادر هذا المكان بأسرع مايكون !

عندما بلغوا فناء القلعة سأل كوينتن ليدي ايزابيل عن حالها فأجابت : حسن ، حسـن ولكـن لا تتوقف لتطرح الأسئلة ·· دعنا نرحل عن هذا المكان بسرعة !

كانت تحاول الاسراع في السير أثناء الحديـث ولكنها كادت تسقط لولا أن حملها كوينتن · فقد حملها بين ذراعيه كامه ووضعت يدها حول عنقه وهو يحملها

دفع بتركين صديقه بافيون الى الأمام وراحوا يسيرون ويركضون حتى بلغوا شاطىء النهر · أخيرا وجدوا قاربا هبطوا فيه وظلت ليدي ايزابيل بلا حول ولاقوة بين ذراعي حاميها ·

وفي النهاية ، توقف القارب عند أطراف حديقة بافيون · خرجوا جميعا منه وصاح بافيون مناديا ترودشن · حمل كوينتن ليدي ايزابيل داخل البيت واوصى بها زوجة بافيون ·· كانت امرأة صغيرة وسمينه وكانت تبدو عليها اثار جمال مضى · كان انفها الآن حادا احمر اللون وصوتها عاليا ومزعجا ·

واذا كان اهل لياج قد اطاعوا بافيون ، فلم يكن هناك أدنى شك في ان بافيون يطيع زوجته ·

# الفصـــل العشرون

## نهـــاية حـــلم

ظـــل كوينتن نائما حتى وقـت متاخـر من اليوم التالي • وعندما استيقظ من نومه وجد بافيون جالسا الى جوار فراشه •

قال كوينتن : ارجو الا يكون مجيئنا قد تســـبب في اى ازعاج لزوجتك •

اجاب بافيون : ازعـــاج ؟! •• لا •• زوجتـــى لا يزعجها قط الزائرون فهى قد تعودت عليهم •

ـ لو كنت واثقا أن ليدى ايزابيل مستعدة للسفر لما تسببت لها في مشاكل اكثر ببقائنا هنا فترة اطول ·

قال بافيون · اه ، هذا بالضبط ما قالته السيدة الشابة لزوجتى ·

قال كوينتن وهو يكمل ارتداء ملابسه : هل غادرت ليدى ايزابيل غرفتها ؟

ـ نعم · وهى تنتظرك ، انها متلهفة على الرحيل ·

قال كوينتن : ولماذا لم تقل لي هذا مبكرا ؟

قال بافيون : هناك شيء آخر اريد أن اخبرك به · ابنتى ترودشن تظن أنه ليس من الأمان لك ولليدى ايزابيل أن تسافرا بملابسكما الحالية · يجب الا يتعرف عليكما أحد · ان جنود لامارك يبحثون عن سيدة تسافر بصحبة أحد أفراد الحرس الملكي الاسكتلندي · يجب أن ترتدى ملابس عامة الشعب في هذا البلد ·· سوف احضر لك الملابس الضرورية !

عندما هبط كوينتن وجد ليدى ايزابيل ترتـــدى ملابس فتاة من ليــــاج · وكانت ترودشن مشــــغولة باستكمال ملابس السيدة وبتعليمها كيف تتصــرف وكيف تتحدث ·

ـ لقد اخبرت صديقا لى يدعى هانز كلوفـر أن ينتظركما عند البوابة الشرقية للمدينة وأن يقودكما فى امان خارج البلدة ·

قبلت ليدى ايزابيل ترودشن لتشكرها على كرمها ·

كان جوادان قويان ينتظران امام البــــاب وراح بافيون وزوجته ينظران الى كوينتن والسيدة وهمـــا يركبان الجوادين · سار أمامها بتركين ليدلهما على الطريق الذى يسلكانه ، حتى وصلا الى البوابـــة الشرقية مارين بين حشود من الناس مشغولين بالحديث عما جرى من أحداث بالأمس حتى ان أحدا لم يلحـــظ مرورهما ·

عندما بلغا البوابة ، لحق بهما شاب قصير القامة

قوى الميذيان على حصان رمادى قوى ، كان هانز جلوفر صديق ترودشن • ألقى عليهما بالتحية وسأل ليـــدى ايزابيل عن الطريق الذى ترغب فى أن تسلكه ،

قالت : قدنا الى اقرب بلدة فى برابان !

قال كوينتن بالفرنسية : لقد عقدت العـــزم اذن على المكان الذى تنوين الذهاب اليه ؟!

اجابت السيدة : لا يهمنى اين اذهب ، لأننـى فى نهاية الرحلة لن أجد شيئا غير السجن •

قال كوينتن : السجن ؟!

ـ نعم ياصديقى ، السجن •• ولكنى سوف أعمل على الا تكون سجينا مثلى !

قال كوينتن : لا تفكرى فى ، فأمرى لا يهم ، كل أملى ورجائى هو أن تكونى فى مأمن !

قالت ليدى ايزابيل : لا تتكلم بصوت عال • يجب الا يسمعنا الناس نتحدث بالفرنسية ،

كان جلوفر يتقدمهما على حصانه ٠

اكملت ليدي ايزابيل : لقد قررت أن أضـــع نفسى بين يدى دوق بورجوندى وأثق فى رحمته ٠ ان واجبى أن أخبرك بذلك لأنك مسئول عن حمايتي ، أنت الذى أدين له بحياتى ٠

ـ وهل تسمحين للدوق بتــزويجك من صديقـــه الكونت كامبو ـ باسو ؟ ٠٠ على ما أعتقد انه ينــوى ذلك !

كان كوينتن يتحدث بصوت حاول جاهدا أن يجعله هادئا ٠

أجابت ليدي ايزابيل : لا يا دوروارد ، لا ٠٠ قــد يستولى دوق بورجوندى على أرضي وقد يلقى بــى فى السجن ولكنى لن أتزوج كامبو ـ باسو ٠ فقد يكون هذا أفظع مايحدث لى !

قال كوينتن : لا ! ماذا يكون أسوأ من فقدان كل شىء والسجن ؟ ان الهواء الطلق يحيط بك الآن ، وهناك

رجل الى جوارك مستعد للتضحية بحياته لكى تصلى فى أمان الى انجلترا او ألمانيا أو اسكتلندا ·· فى أى من هذه البلاد سوف تجدين من يحمونك ويكرمونك · لماذا انن قررت أن يلقى بك دوق بورجوندى فى السجن؟ ان أعظم وافضل شيء فى الوجود هو الحرية ·

استمعت السيدة اليه في حزن ثم قالت : الرجل فقط يستطيع أن يكون حرا ·· اما المرأة فيجب عليها دائما ان تبحث عمن يحميها ·· فهى غير قادرة على الدفاع عن نفسها · وأين أحد من يحميني ؟ ليس الملك ادوارد ملك انجلترا ولا فنسلاس ملك ألمانيا . وفى اسكتلندا ، من ؟ آه ، يا دورو ارد ، لو أنى كنت اختك لعشت فى سعادة بين الجبال التي تصفها فى حب · هناك يمكننى ان احيا بلا مشاكل وان أنسي القدر الحزين الذي ولدت به ·

ظلا يسيران فى صمت ·· صمت المحبين الذيـن لا يحتاجون لكلمات لأن كل قلب يعرف ما يقوله القلب الآخـر ·

كان الوقت قد تجاوز العصر بساعتين عندما صاح جلوفر فجأة · مشيرا خلفهما الى كتيبة ماثلة من جنود لامارك تتبعهم · اسرعوا الى الأمام دون أمل كبير فى النجـــاة ·

قال كوينتن : عزيزتـــــى ايزابيل ، لن يفيدنى ان احارب من أجلك هذا العدد الكبير ، دعينا نذهب الى تلك الغابة هناك ربما وجدنا مكانا نختبىء فيه او طريقا نهرب منه ·

قالت ايزابيل : اذهب ياصديقى الوحيد ·

ثم اضافت وهي تلتفت الى جلوفر : وأنت ، اتركنا هذا ولا تبق معنا لتتحمل مصيرنا ·

قال الفتى الشريف وهو يتبعهما : لا · لا ·· !

تحركوا صوب الغابة باسرع مايمكن أن تحملهم جيادهم المتعبة · رآهم الجنود يستديرون وتبعوهم · عندما وصلوا الى الغابة رأوا على بعد نحو ربع ميل خلفهم كتيبة أخرى كبيرة من الجنود ·

قالت ايزابيل : ان معداتهم لامعة · انهم جنود دوق بورجوندي ، وليسوا رجال دولامارك ·

اقتربت منهم الكتيبة · وبعد برهة صاحت ليدى ايزابيل : انني ارى اعلامهم · انها راية كونت كرافكور ، أحد نبلاء بلاط بورجوندي · سوف أسلم نفسي اليه !

خيمت سحابة من اليأس والحزن على قلب كوينتن ··

تقدمت الكتيبة وقادت ليدى ايزابيل جوادها لتتحدث مع كرافكور · عندما رأى رجال لامارك ان قوات كرافكور تفوقهم عددا ، استداروا مبتعدين بسرعة ·

تقدم الكونت على حصانه وسارت السيدة الى جواره بينما تبعهما كوينتن ·

كانت مهمته قد انتهت ·

كان كوينتن مجرد جندى عادي من حرس الملك الاسكتلندى لا يليق به السير الى جوار رجل نبيل وسيدة من الطبقة العليا ·



ركبت ليدي ايزابيل حصانها واتجهت اليه

# الفصل الحادى والعشرون

## البرج الأســـود

تقع قلعة « بيرون » بالقرب من نهر عميق · وبينما كان الكونت كرافكور وصحبته يسيرون بالقـــرب من النهر . التقى الكونت برجلين كانا يقومان بالصيد في الغابة · وعندما راه الرجلان تنحيا جانبا **وصاحا :**

ـ اخبار . اخبار كونت كرافكور · هل تأتـــى بالأخبار ام تستمع الى الأخبار ؟

قال كرافكور : الاثنان . ولكنى لا اظن ان اخبار كما فى مثل اهمية اخبارى .

اجاب كومين محدثا رفيقه : حسنا ، ان اخبارنا عظيمة حقا .. انصت ! الملك لويس في بيرون !

صاح الكونت : ماذا ! هل استسلم دوق بورجوندى دون حرب ؟

اجاب كومين : لا . لاتوجد حرب . الدوق لازال هنا والملك هنا ايضا . لقد جــــاء الملك لزيارة الدوق لينهيا خلافاتهما وقد أحضر معه حرسه الاسكتلندى فقط وبعض ضباط منزله ، دونوا ، اورليان ، كراوفورد واخرين . والآن وقد عرفت أخبارك ، هات ماعندك ايها النبيل كرافكور !

أجاب : ماعندى اخبار سيئة . لقد قتل أســــقف لياج واستولى وليم دولامارك على القلعــة . ســـوف اذهب لابلاغ الدوق فى التو .

كان ملك فرنسا يعشق الصيد وكان في هذا اليوم

يقوم بالصيد في الغابة بالقرب من بيرون .. عاد الى القلعة وجلس الى مائدة العشاء فى القاعة الكبيرة . كان هناك مقعدان خاليان عند المائدة وقد لاحظهمـــا دوق بورجوندى حين نظر حوله .

التفت حوله وسأل : لمن هذه المقاعد الخالية ؟

اجاب الرجل : هذا مقعد كومين !

قال الدوق : انه صياد شرد . هذا اذا تأخر عن تناول طعامه .

وبينما هو يقول ذلك دخل كومين القاعة .

قال دوق بورجوندى : حسنا ياسيدى . لابد وانك توغلت بعيدا في الصيد ولذلك عدت متأخرا . ويبدو من وجهك الحزين انك لم تلق نجاحا فى الصيد !

دارت كل العيون تجـــاه كومين . وقـــال دوق بورجوندى غاضبا : ماذا يعنى صمتك هذا ياسيدى ؟

قال كومين : بينما انا فى طريق العودة من الغابة قابلت كونت كرافكور .

قال الدوق : ما ! هل عاد من برابان ؟ لا شك ان الامور مستتبة هناك !

اجاب كومين : سيخبرك كرافكور بالأخبار بنفسه · لقد ذهب ليغير ملابسه ·

صاح الدوق : وماذا يعنيني أنا من ملابسه ؟ ·· لماذا لا يأتي ليخبرنا بما يجب ان يقوله لنا ؟

اجاب كومين : انه يظن ان من الحكمة ان يخبرك بذلك بنفسه ·

ـ اذهب وامره ان يأتي الى هنا في الحال ! ·· ليست لدى اسرار هنا !

ظل الدوق ينظر في غضب صوب الباب وجلس الحاضرون في صمت ينتظرون · استمر الملك لويس وحده في تناول الطعام في هدوء وفي الحديث الى النبلاء بجانبه · واخيرا دخل كرافكور ·

قال : سيدي ، ان الاخبار التي جئت بها لا تلائم قاعة الاحتفالات !

ـ خبرني يارجل ، ولكني استطيع تخمين هذه الأنباء ، ان اهل لياج يسببون لنا المتاعب ثانية ، لماذا لم تذهب لنجدة الأسقف ؟

اجاب كرافكور : فات الاوان ، لقد انضم وليم دولامارك الى اهالى لياج واستولى على القلعة وقتل الأسقف فى قاعته .

ردد الدوق بصوت عميق : قتله ؟! .. هل انت متأكد من هذه القصة ؟!

ـ أنا متأكد ، لقد كان أحد أفراد الحرس الملكى الاسكتلندى فى القاعة حين قتل الأسقف وقد أخبرني بذلك .

صاح الدوق : هـا ! جنـدى من حـرس الملك الاسكتلندى !

واستدار ناحية لويس قائلا : لقد فهمت ! انه انت الذى تسبب فى هذه الثورة ، وانت فى قبضة يدى .

وضع الدوق يده على سـيفه فهب الجميـع من مقاعدهم • اغلق خدم الدوق ابـواب القاعة الكبيرة وهرع عدد من اللوردات الفرنسيين الى جانب الملـك استعدادا للدفاع عنه • جلس الملك لويس هادئا ولـم يقل كلمة واحدة • ظل دوق بورجوندى واقفا ويده على سيفه وانتظر رجاله اشارة بدء القتال الذى كان يجب ان ينتهى بمقتل ملك فرنسا وكل اتباعه •

أسرع كرافكور صائحا : سيدى ، فكر فيما أنت فاعل ! انها قاعتك • ألست مخلصا للملك ؟ هل تقتله فى قلعتك ؟ لا تفعل ذلك حفاظا على شرف بيتك !

قال لويس فى هدوء : انه على حق ••

ثم اضاف وهو يلتفت الى اتباعه : أيها السادة ، ان صديقى دوق بورجوندى غاضب لما سمعه من اخبـار عن مقتل اسقف لياج •• أعيدوا سيوفكم الى أماكنها • اذا اراد قتلى فلن يجدى قتالكم امام هذا العدد الغفير •

ظل الدوق واقفا ويده على سيفه ثـم التفت الى

كرافكور قائلا : كراقذور لقد احسنت التزل · لقـــد جاء الملك لزيارة القلعة كصديق وانا اخلص له كحاكم لفرنسا · ليس من شيمتي ان أحكم فى تسرع وغضب · لو كان علي أن أفعل شيئا فيجب ان أفعــــل ذلك بعد الحكم على الأمور وسوف تعرف كل شعوب اوروبا أنى تصرفت بشكل عادل · سوف نسمع المزيد عما حدث فليؤخذ الملك الى « البرج الأسود » وليظل حبيسا هناك حتى يتاح لنا الوقت لنســـمع المزيد ونقرر اذا ما كان سببا فى موت صديقنا ·

# الفصل الثاني والعشرون

## يجب ألا تظهر الحقيقــة !

حدث هذا في المساء السابق على الاجتماع المهم الذي ناقش فيه دوق بورجوندي واتباعــه الحقــائق المرتبطة بمقتل اسقف لياج ليقرروا ان كان الملك لويس قد اخطأ . ولو عرفت الحقيقة لنشبت الحرب بلا شك . ولقتل الدوق الملك لويس في قلعة « بيرون » ولاندلعت الحرب من اقصى البلاد لأقصاها .

يجب ألا تظهر الحقيقة !

رقد كوينتن على فراشه فى قلعة بيرون وراح يقلب هذه الأفكار فى رأسه · يجب الا تظهر الحقيقة ! وكان هناك اثنان فقط يعرفانها ، هو وليدى ايزابيل · اما عن نفسه فهو يستطيع الوثوق فى حكمته الاسكتلندية الأصيلة : فقد قرر ماذا يقول وماذا يخفى · الخطر يكمن فى ليدى ايزابيل ، ان سلام فرنسا يتوقف على اجاباتها كما تتوقف عليها حياة الملك وحياتها هى وسعادتها ·

وهو الأمر الذى كان يفوق فى أهميته كل شىء بالنسبة لكوينتن ·

عندما بلغوا القلعة ، اصطحب كونت كرافكور ليدى ايزابيل الى بيته واوكل مسئوليتها الى زوجته · وذهب كوينتن لالحاق برفاقه فى الحرس الاسكتلندى · الآن عليه أن يرى ليدى ايزابيل سرا ولكن كيف يستطيع جندى من الحرس الاسكتلندى أن يلتقى بسيدة من الطبقة العليا تقطن فى بيت أحد اكبر لوردات بلاط دوق بورجوندى ؟

قام كوينتن من مرقده فقد حزم أمره أخيرا .. عبر الفناء مسرعا نحو غرفة لورد كراوفورد . كان الوقت مساء .. سار ظله الطويل أمامه بينما اتقدت غيوم العاصفة السماء الغربية . وقد اكتست بفعل شمس المغيب بألوان الدماء والذهب وبدت كذلك خلف سطح القلعة .

بلغ الباب الضيق .. وأتاه صوت لورد كراوفورد أخيرا داعيا اياه للدخول .

حياه لورد كراوفورد في لطف شديد كما يحيي الأب ابنه . وقال في اعتزاز : انك شاب غريب !

لقد حصلت على مكانك في فرقتي أسرع من أي شخص آخر .. ان المستقبل العظيم في انتظارك !

قال كوينتن : أخشى انني لن أستطيع التمتع بهذا المكان طويلا . لقد قررت ترك الحرس الملكي !

صاح لورد كراوفورد غاضبا : تترك الحرس ! تترك الحرس الاسكتلندي الملكي ! .. لا تحلم بذلك .

اننى لا أتنازل عن موقعى كقائد للحرس الا اذا عرضوا على أن أكون ملك فرنسا · الم تكن معاملتك طيبة ؟

لم يجب كوينتن لبرهة ثم رفع رأسه قائلا : لقد وعدت ان أكون مخلصا للملك وهذا ما يجعلنى الزم الصمت لقد وعدت أن أخدم الملك ضد أعدائه · ولست أخاف أعداء الملك لكنى لا ارغب فى الاستمرار فى خدمته وانا لا استطيع ان أثق بسيدى ·

قال كراوفورد : أيها الفتى الشاب ، لقد بدأت اخمن ماذا تعنى · لقد سافرت فى طريق ما بناء على أوامر الملك · وواجهت المخاطر فى رحلتك هذه وتظن ان لديك من الأسباب مايدعوك الى الاعتقاد فى أن الملك هو سبب هذه المخاطر ·

ـ اما أن يكون الملك سببها أو لا يكون ـ لست أدرى ·· لقد نجوت من هذه المخاطر فقط بعون الله · وقد سمعت حقا بعض الأقاويل ولكنى لا أثق فى قائلها ·

قال لورد كراوفورد : وأنا ايضا سمعت بعض الأقاويل وانت تعرف بعضها أفضل منى · لكن على

أن أخبرك أيها الشاب أن كلمة منك تقولها بلا حذر أو بلا حكمة تعرض الملك لخطر داهم . هل هذا هو سـبب رغبتك في تركنا .. حتى لا تضطر للكلام ؟

كرر لورد كراوفورد : هل هذا هو السبب ؟

اجاب كوينتن : لا . لو صح هذا لما أفادني الرحيل الآن فعندئذ سوف يظنون انى خفت من قول الحقيقة . ولكن هناك شخصا آخر غيرى تتوقف عليه سلامة الملك، وهي لم تعد بالولاء له .

صاح كراوفورد : هي ! لو عرفت امرأة بالسر لضعنا !

اجاب كوينتن : لا تفكر هكذا ياسيدى . لن نضيع لو أنك نجحت في ان تفعل ما أطلبه منك . هل يمكنك ان تزور كونت كرافكور وتسأله ان يسمح لي بالحديث مع ليدي ايزابيل ؟ ان استطعت التحدث اليها لطلبت منها أن تحفظ السر !

لم يجب لورد كراوفورد فترة من الزمن . نظـر

خارج النافذة ثم أطرق ناظرا للأرض وهز رأسه ثم قال في النهاية : هناك شيء ما في كل هذا لا أفهمه . ان ليدى ايزابيل سيدة من الطبقة العليا .. وأنت شاب اسكتلندي صغير السن ! .. هل أنت متأكد انك تستطيع اقناعها بان تفعل ماتريده منها ؟ .. تبدو واثقا من قدرتك ياصديقي الشاب . ربما استفدت من وقتك جيدا أثناء الرحلة .. ولكن بحق السماء ' سوف افعل ذلك . سوف اطلب ذلك من كرافكور . وهو يرغب بشدة في احلال السلام واعتقد أنه سوف يسمح بذلك .

قال ذلك ثم قام وترك الغرفة .

بعد بضع دقائق عاد وكان ضاحكا .

قال : حسنا ايها الفتى الصغير، انك جسور ولا شك! لقد غضب كرافكور بشدة ولكنه سمح لك بذلك في النهاية . ولكن يجب أن تكون زيارتك قصيرة . يجب ان تفعل أقصى ماعندك في وقت قصير . أعتقد انك تعرف كيف تفعل ذلك .. ها ! ها ! ها !

لا يوجد شاب واحد فى العالم يحب سماع أحـــد يسخر من حبه . علا وجه كوينتن الاحمرار وهو يتبع الرجل العجوز خارج الغرفة حتى بلغا بيت كرافكور .

قال كرافكور : حسنا ايها الشاب باستطاعتك أن ترى رفيقة رحلتك العملية مرة أخيرة .

اجاب كوينتن فى حزم : نعم ياسيدى ، يجب أن اراها بمفردى .

قال كرافكور : لن يحدث هذا ابدا . احكم بيننـــا يالورد كراوفورد . هذه المرأة الشابة ابنة صـــديقى القديم . وهى واحدة من أغنى نساء بورجوندى . وهذا الشاب الأحمق وقع فى حبها وهى أيضا .. ماذا كنت اقول ؟ .. حسنا هى ايضا حمقاء . يجـب الا يلتقيا بمفردهما !

كركوينتن : لن اتفوه بكلمة واحدة لليدى ايزابيل الا اذا بقينا بمفردنا .

قال كراوفورد : وما الضرر في أن نترك الشابين معا لمدة دقيقتين ؟ ان حياة الملك متوقفة على ذلك ويجب علينا الا نكون شديدي الحرص بسبب قصة حب حمقاء .. دعه يفعل مايريد !

قال ذلك ودفع كرافكور بعيدا .

# الفصل الثالث والعشرون

## كوينتن يتحدث الى ايزابيل

بعد بضع دقائق ، دخلت ليدي ايزابيل من الجانب الآخر للغرفة وما أن شاهدت كوينتن يقف هناك وحيدا حتى توقفت في مكانها ثم تقدمت نحوه ثانية ٠

اقلت . لماذا يتحتم على أن أعاملك ببرود ؟ ٠٠ هل لأن اخرين لهم السنة حادة ٠٠أنت صديقي والمدافع عنى، الصديق الوحيد الذى أثق به !

ومدت يدها اليه فراح يغطيها بالقبلات ٠

قالت : لو قدر لنا أن نلتقى ثانية لن أسمح بذلك ··

وسحبت يدها قائلة : تريد أن تطلب منى شيئا ، أستطيع تنفيذه !

قال كوينتن في اسى : لا تخافى ياسيدتى النبيلة · لن أطلب شيئا لا تستطيعين منحه ·· ولن أنسى المسافة التى وضعها القدر بيننا ·· لقد حلمت حلما جميلا ·· سوف أحافظ عليه طيلة حياتى ·· سأحافظعليهفىقلبى فقط ، فمن ذا الذى يعرف الحلم الا الشخص الذى حلم بـه ·

قالت ليدى ايزابيل : لا تحدثنى فى ذلك · قل لـى ماذا تريد أن تطلب منى ؟ ·

ـ أطلب منك النسيان · لا تنظرى خلفك للماضى ولكن انظرى امامك للمستقبل · ان من يسيرون فى طريق محفوف بالمخاطر يجرؤون على النظر للخلف · انصتى الى · ان الملك لويس يستحق كرهك ولك الحق فى أن تخبرى العالم كله كيف خدعك وكيف خذلك · يمكنك أن تقولى كيف ساعدك على الهـرب من بورجوندى ،

وكيف ابعدك عن قلعته وكيف وضع خطة للالقاء بك بين يدى دولامارك • ولكن اذا قلت هذا كله ستكونين السبب في نشوب حرب دموية بين فرنسا وبورجوندى لـــــم يسبق لها مثيل !

قالت السيدة : انا لا أرغب فى جلب الشر على هذا البلد • أستطيع أن انسى الضرر الذي الحقه بى الملك • ولكن ماذا أفعل ؟ سوف يستدعينى دوق بورجونـــدى وسوف يلقى على الأسئلة • هل أظل هناك صامتة ؟ •• ام تطلب منى أن أكذب ؟ ان احتاج الأمر للكذب ، فلن استطيع اخبارهم • فليست لى خبرة بالكذب •

قال كوينتن : انا لا أطلب منك أن تكذبى ولكن ان تقولى ما تعتقدين أنت فقـــط انه حقيقة • لا تكـــررى الأقاويل التي أخبرك بها الآخـــرون حتى وان كنت تصدقيتها • قولى ما تعرفيده فقط ، واذا سئلت فى أى شيء آخر سوف تجيبين ، لا اعرف ، لا أعرف شيئا من ذلك » •

قالت ليدى ايزابيل : أعتقد أنى فهمتك •

دق الجرس ، فقالت ليدي ايزابيل : هذه اشارة لنا أن نفترق ·· نفترق الى الأبد ! ولكن لا تنسني يادوروارد · لن أنساك أبدا ، ولن أنسى خدمتك المخلصة ·· !

لم تستطع أن تقول المزيد وسحبت يدها التى كان يضغطها مرة ثانية على شفتيه وبينما كانت تحاول سحبها بعيدا اقتربت منه ·

فى تلك اللحظة دخل كرافكور وكراوفورد الحجرة ·

صاح كرافكور فى ايزابيل : اذهبى الى غرفتك أيتها الفتاة الشابة ، وأنت ياسيدى كيف تجرؤ ؟!

قال لورد كراوفورد : سلاما · سلاما ! أنت ياكوينتن آمرك بالتزام الصمت وارحل فى الحال !

غادر كوينتن الغرفة · وعندما رحل اكمل لورد كراوفورد قائلا : يجب أن أقول لك الآن وقد رحل الشاب ان كوينتن دوروارد جنتلمان مثله مثل الملك ·· انه من عائلة نبيلة مثلى تماما · قيم غضبك اذن ؟

صاح كرافكور : ما ! هؤلاء الجنود الاسكتلنديون يتسببون فى المشاكل دائما • يجب ان يلزموا حدودهم •

اجاب كراوفورد : سيدى اللورد ، لقد كنت قائدا لحرس الملك الاسكتلندى على مدى خمسين عاما دون ان أسألك العون وسوف اظل على هذا الحال •

قال كرافكور : حسنا حسنا سيدى اللورد ، لـــم اقصد ان أغضبك • أما عن هذين الشابين فأنـــا على استعداد لنسيان الماضى لأنى أنوى الا اجعلهما يلتقيان ثانية ابدا •

قال لورد كراوفورد ضاحكا : يمكنك أن تجعل ذلــك أكيدا ولكنك لن تكون قط متأكدا • لقد منحته هذه القبلة فى عذوبة وأظن اننا ستسمع أخبارا جديدة فى المستقبل !

# الفصل الرابع والعشرون

## الـــدوق يتـــكلم

دق ناقوس القلعة الكبير . تقدم دوق بورجوندي تتبعه كوكبة من الرجال المسلحين عبر الفناء ودخـــل البرج الأسود .

كان الملك لويس يتوقع الزيارة . قام واقفا وتقدم من الدوق خطوتين ثم ظل واقفا في هدوء .

**قال الدوق** : لقد جئت لأرجوك حضور الاجتماع

المقام فى القـــــاعة الكبيرة حيث يجب أن نقرر بعض الامور المهمة جدا لمملكتك وللبلد التى احكمها .

**قال الملك** : صديقى : لاداعى لان نكون مهذبا الى هذا الحد . لا يجب ان ترجونى وانت تملك القــــوة لتامرنى . سوف احضر بالطبع الى القـــاعة الكبيرة طالما تلك هى اوامرك !

استدار الدوق وهبط السلم وتبعه الملك . بينما سار الرجال المســلحون امامهما وفى الخلف . عبروا جميعا الفناء ودخلوا القاعة الكبيرة . كان هنـــاك مقعدان مجهزان فى نهاية القاعة .. أحدهما أعلى من الآخر . قاد الدوق الملك لويس ليجلسه على المقعد العالى وجلس هو على المقعد المنخفض . جلس نحو عشرين من كبار النبلاء على الجانبين بترتيب الألقاب .

عندما جلس الملك والدوق ، جلس النبلاء أيضا .

ثم قام الدوق وانحنى انحناءة خفيفة للملك وشرع فى الكلام .

ـــ « سادتي ، تعرفون جيدا أن اضطرابات كثيرة حدثت مؤخرا في البلاد ، وكان سببها انعدام الاخلاص وعدم الطاعة : فالشعب لا يطيع سادته والسادة لا يطيعون حكامهم . وقد رأينا ذلك مؤخرا في قضية ليدي ايزابيل أوف كروا وليدي هاملين اللتين لم تبديا طاعتهما لنا وهربا من هذا البلد . وكانتا بذلك غير مخلصتين لنا ، ويحق لنا ان نسلبهما كل اراضيهما . كما رأينا الثورة الرهيبة التي قامت في لبياج ضد صديقنا العزيز الأسقف والتي انتهت بمقتله . كان السبب في هذه الأحداث المؤسفة هو حمق هاتين السيدتين من ناحية وخيانة أهل المدينة من ناحية اخرى . ولكن سببها أيضا في اعتقادنا هو مسانده جارنا الجليل الذي ظنناه صديقا لنا . فان ثبتت صحة ذلك شعرنا بضرورة التصرف بشكل عادل لوقف هذا العدو عن التمادي في الحاق الأذي بنا . سوف نحارب الخيانة من جذورها ، وجذور هذه الخيانة في اعتقادنا توجد في المكان الذي نظنه آخر مكان يمكن ان تتحقق فيه الخيانة . . في ذلك الذي ندين له جميعا بالولاء ! » .

عندما بدأ الدوق حديثه كان هادئا وكان صوته منخفضا ولكن صوته صار وحشيا غاضبا كلما اقترب من النهاية . وبدت كما لو كانت هناك لمحة خوف على وجه الملك ولكنها اختفت فى لحظة . وتحدث الملك الى الجمع بصوت اكثر انخفاضا وهدوءا من صوت الدوق .

قال : نبلاء فرنسا وبورجوندى ، من العجيب ان يدعى الملك للدفاع عن نفسه بهذه الطريقة . ليس هناك داع لكى لا اتحدث بوضوح ، رغم ان الدوق لم يفعل ذلك .. كان من الواضح لكم جميعا انه يتحدث عنى . وأنا اسألكم هل كنت احضر الى هنا وأضع نفسى تحت سلطة الدوق لو كنت اظنه عدوا لى . اننى حزين مثله تماما للاحداث المؤسفة التى حدثت فى لباج . ولكنى فشلت فى ان افهم لماذا الام انا على ذلك . لقد جاءت سيدتان تتسمان بالحمق الى بلاطى وهما حزينتان بسبب قصة حب او زواج ، فهل تلوموننى على ذلك ؟ ماذا كنت أفعل معهما ؟ كرجل نبيل ، لم يكن فى استطاعتى ان اعيدهما اسيرتين الى المكان الذى جاءتا منه . لقد

فعلت ما رأيته أفضل لهما في هذه المسألة المعقدة ، ولازلت أعتقد أني تصرفت بحكمة . لقد أرسلتهما الى أسقف لباج ، صديق دوق بورجوندي وصديق عائلتي أيضا . ولا أرى في ذلك ما يغضب الدوق من حق .

**قاطعه الدوق قائلا :** سيدي ، لقد جئت هنا ووضعت نفسك تحت تصرفي لأنك توقعت أن تحدث الأمور بشكل مختلف تماما . فما كنت لتأتي الى هنا بلا شك لو كنت تعرف أن خططك قد فشلت . ولكن ليس من حقي ان أقرر . فلتستدع ليدي ايزابيل أو ليدي كروا . سوف نسمع منها شخصيا حقيقة الأمر . استدع ليدي ايزابيل !

# الفصل الخامس والعشرون

## اســــتدع ليدى ايزابيل !

حضرت ايزابيل تصطحبها ليدى كرانكور ، زوجة كوسي كرانكور. عندما رآها الدوق التمعت عيناه غضبـــا :

— حسنا يا سيدتي العزيزة ، ماذا تظنين في الهراء الطيب الذي قمت به ، والمتاعب التي تسببت فيها بين أميرين عظيمين ؟ .. هل تدرين أن الاثنين عظيمين قد يخوضان الحرب قريبا بسبب وجهك الطفولي !

توقفت ايزابيل وقد أخافها هجوم الدوق المنيف .
لكن ليدي كرانكور كانت امرأة شجاعة لا تخاف أحدا !
**فقالت :** سيدي الدوق ، ان ليدي ايزابيل في حمايتي .
اعرف كيف يجب معاملة السيدات ؟ اذا لم تتحدث بشكل
اكثر ادبا سوف نغادر انا وهي القاعة في الحال !

**ضحك الدوق وقال :** سيدي كرانكور ، أعرف الآن
لماذا انت هادىء وصامت دائما . ان سيدتك لقوى ! . .
عاد مقعدا لليدي ايزابيل . اجلسي ياسيدتي العزيزة
واخبرينا لماذا هربت من موطنك ورحت تطوفين العالم
مثل امرأة مخبولة ؟

**بدات ليدي ايزابيل تحكي قصتها بصعوبة والم**
**شديدين :** كنت مصممة الا أتزوج من كونت كامبو ــ
باسو وكنت اتمنى ان **يساعدني ملك فرنسا !**

**صاح الدوق :** ها ! وهو بلاشك وعدك بالمساعدة ؟
**اجابت ليدي ايزابيل :** ظننت أنه سوف يساعدني
ولو لم افــــــكر في ذلك لما ذهبت اليه . ولكني لم اكن

متأكدة من انه سيعمل ذلك . كنت اعرف فقط ما قالته لى ليدى هاملين . وليدى هاملين كانت تعرف فقط ما قاله لها راميت ماحروبين . ومنذ ذلك الحين اكتشفت أن راميت لم يكن موضع ثقة . لقد كان مخادعا تماما .

اكملت السيدة قصتها وقالت كيف غادرت بورجوندى وجاءت الى بلاط الملك لويس وكيف ارسلها الى لياج . وحكت عن المعركة التى حدثت فى لياج وكيف انهـا فرت من القلعة وكيف سلمت نفسها فى النهاية لكونت كرافكور .

ظل الجميع صامتين بعدما انتهت من قصتها . نظر دوق بورجوندى فى غضب الى الأرض كما لو كان يبحث عن سبب لانفجار غضبه من جديد .

واخيرا قال : ارجو ان اسأل الملك لويس لماذا احتجز هاتين السيدتين فى بلاطه واذا لم يكن قد طلب منهما الحضور فلماذا احتجزهما حين حضرا اليه ؟

**اجاب الملك** : انا لم احتجزهما هناك عـــــزيزى

الدوق . لقد استقبلتها سرا لأنى شعرت بالشفقة تجاهها ، ولكني فيما بعد حين سنحت الفرصة ارسلتها الى اسقف لياج ، صديقك ، ليكونا في حمايته . ولكني اريد ان اسأل سؤالا . أريد أن اسأل هذه السيدة الشابة ان كنت قد احسنت استقبالها . هل قلت ذات مرة انى لا ارغب فى حضورها هى وصديقتها؟

قالت ليدي ايزابيل : انت لم تحسن استقبالنا بالطبع . لقد استقبلتنا بطريقة جعلتنى اشك أنك وعدتنا بالمساعدة بالفعل . واصابني الشك فى ان يكون زاميت قد قال الحقيقة حين اخبرنا أنك ستكون لنا صديقا . لو كنت قد وعدتنا بالمساعدة لكان من الصعب أن تصدق ان الملك ، الفارس النبيل ، سيفعل مثلما فعلت .

نظرت ليدى ايزابيل فى استياء الملك وهى تتحدث اليه غير ان نظراتها الغاضبة لم تكن تزعجه بل كانت مصدر سرور عظيم . مد يديه ونظر فى هدوء الى دائرة الناس حوله وقال : لقد سمعتم رد السيدة وليس لدى ما اضيفه !

لم يكن دوق بورجوندى راضيا . ظل صامتا برهة ثم التفت فجأة الى ليدى ايزابيل **وقال :**

ـ اظن ياسيدتي العزيزة انك حين حكيت قصة رحلاتك نسيت ان تذكرى شيئا عن بعض امور الحب . لقد تعرضت لهجوم بعض الفرسان فى الغابة أثناء رحلتك .. ها ! انها لا ترد ! ..

**ثم التفت الى الملك قائلا :** اخبرنى ، ايها الملك لويس ، أليس من الحكمة ان نرتب زواجا لهذه السيدة قبلما تتسبب فى متاعب اخرى ؟

تركت ليدى ايزابيل مكانها بجوار ليدى كرافكور وتقدمت من الدوق وركعت على ركبتيها **قائلة :**

ـ أيها الدوق النبيل ، لقد اخطأت فى فرارى من بلدك . يجب أن الام على حماقتى وأن أعانى نتيجة لذلك وأنا على استعداد للمعاناة بالطريقة التى تراها .. سأعيد اليك أراضى وقلاعى ، واتوسل اليك والى كرمك أن تمنحنى ما يكفى من المال الذى يتيح لى أن احيى ما تبقى لى من أيامى فى خدمة الله وأعمال الخير .

**قال الدوق وهو يلتفت الى الملك لويس :** حسنا ياسيدي .. ما رأيك .. ؟!

**قال الملك :** أعتقد أننا يجب ان نؤيد ما تطلبه .

**قال الدوق :** انهضي يا ليدي ايزابيل . ستنعمين بأكثر بكثير مما طلبت . لن نأخذ منك أراضيك وقلاعك بل سنضيف اليها سحابة !

**قالت ليدي ايزابيل وهي راكعة :** ايه لا ياسيدي . انت تقصد مساعدتي ولكني اخاف مساعدتك اكثر مما اخشى نفسك . انت تجبرني على ..

**صاح الدوق :** بحق السماء ! هل تخالفين اوامري ؟ .. انهضي ! اتركيني ! .. سأفكر مليا في الامر وحين اصدر اوامري عليك ان تطيعي !

تقدمت ليدي كرافكور وقادت ابنتها خارج القاعة .

# الفصل السادس والعشرون

## استدع كوينتن دوروارد !

استدعي كوينتن دوروارد بعد ذلك ، وامره الدوق ان يقدم تقـــريرا عن رحلته مع ليدي ايزابيل وليدي هاملين .

**قال الدوق** : قل لي اولا ما هي الاوامـــر التي اصدرها لك الملك لويس ؟

**قال كوينتن** : امرني ان اصطحب السيدتين في سلام الى قلعة اسقف لياج ،

**قال الملك** : واطعت اوامرى اليس كذلك ؟

**اجاب كوينتن** : لقد فعلت ياسيدى .

ثم شرع فى حكاية قصته . .

**قال الدوق** : لقد نسيت ان تخبرنا انك هوجمت فى الطريق من فارسين جوالين .

**اجاب كوينتن** : ليس من واجبى ان اتذكر مثل هذه الامور او اكرر حكيها .

**قال دوق اورليانز** : ليس من واجبك ان تذكر لكنى بالطبع لن انسى ذلك . هذا الشاب يهاجم مثل رجل . لقد كان مخلصا لاوامره وقاوم بنبل .

**قال دونوا** : انا ايضا اريد ان اتحدث عنه . لقد كان شجاعا كريما !

التفت الدوق لكوينتن ثانية **وقال** : خبرنى - هل اتبعت تعليمات الملك بالضبط ؟

**اجاب كوينتن :** لا . لقد امرني الملك لويس ان اعبر نهر « موز » وان اسافر على الشاطىء الايسر للنهر لكني سافرت على الشاطىء الايمن !

**سأل الدوق :** ولماذا فعلت ذلك ؟

ــ لاني شعرت بعدم الثقة في دليلي !

**اكمل الدوق :** الآن انصت الى الاسئلة التي سوف اطرحها عليك واجبني بصدق .. اذا لم تقل الحقيقة سوف تشنق في فناء القلعة .

**سأل الدوق :** من كان دليلك ؟

**اجاب دوروارد :** خيرادين .

**قال الدوق :** ومن الذي امدك به ؟

ــ قال لي تريستان ، احد جنود الملك ، ان خيرادين سيلقاني بعد اول يوم في الرحلة .

**سأل الدوق :** ولماذا لم تثق به ؟

عندئذ حكى كوينتن قصة لقاء خرادين باحد جنود لامارك .

**قال الدوق :** الآن انصـــــت وتذكر مرة اخرى ان حيـــاتك تتوقف على قولك الحقيقة . هل قال هذان الرجلان ( خرادين ورجل دولامارك ) شيئا عن الملك لويس ؟ هل قالا ان الملك امرهما باختطاف السيدتين ؟

**قال كوينتن :** لو ان هذين الشخصين الوضـــيعين قالا شيئا مماثلا لما صدقتهما ، لانى اعرف اوامر الملك .

نظر الملك لويس الى كوينتن ثم استلقى الى الوراء فى مقعده ـــ كما لو كان خوف عظيم قد اربح عن قلبه

انتظر الدوق ثم بدا سأل كوينتن عن قرب .

**قال كوينتن :** انا اكرر انى لم اسمع شيئا يجعلنى اعتقد ان الملك يساعد هذين الرجلين ، او ان لهذين الرجلين علاقة بالملك لويس .

قال الدوق غاضبا : أنت خادم مخلص ! اعتقد أنك بطاعتك اوامر الملك باخلاص لم تكن بذلك تحقق ماتمناه الملك ٠

قال كويلتن : انا لا افهمك ياسيدى ٠ كل ما اعرفه هو أن سيدى ، الملك لويس ، ارسلنى لحماية هاتين السيدتين ، وقد فعلت ذلك باقصى جهد فى امكانى اثناء الرحلة واثناء الأحداث التى مرت فيما بعد ٠ لقد ادركت ان اوامر الملك يجب أن تحترم ٠ وقد نفذتهـــا كذلك ٠ ولو لم تكن جديرة بالاحترام لما اعطيت الى ٠

قال الدوق : انك تفخور بنفســـك مثـــل رجـــل اسكتلندى ! ٠٠ ولكن انصت ٠٠ من الذى امرك ان تسير فى شوارع لياج مستعرضا نفســـك ؟ ٠٠ ومن الذى امرك بالحديث فى القاعة بعد مقتل الاسقف فى القلعة ؟ ٠٠ من الذى امرك أن تقول ان الملك لويـــس ارسلك الى لامارك ؟

اجاب كويلتن : سيدى ، هنـــاك الكثيرون ممن سيخبرونك انى قلت للناس فى شوارع لياج ان الملك لم

يرسلني اليهم ·· لقد كانت فكرتهم هم أن الملك هو الذى ارسلنى وقد اخبرتهم ان هذا غير صحيح · عندما بلغت القلعة اخبرت الأسقف بما حدث لأنى اعتقدت انه من الحكمة بالنسبة له ان يحرس القلعة جيدا ذلك المساء ·· عندما كنت فى خطر داهم وعندما كان على ان انقذ ايدى ايزابيل . قلت حقا ان الملك لويس ارسلنى وقد فعلت ذلك فقط لأنقذ السيدة · فالحقيقة انذاك لم يكن صحيحا فالملك لويس لم يرسل بى الى اهل لياج كما لم يرسلنى الى لامارك · الأوامر هى توصيل السيدتين الى لياج فى سلام ووضعهما فى حماية الاسقف · هذا كل ماقى الامر ·

قال كرافكور الذى لم يستطع ان يظل صامتا أكثر من ذلك · يبدو لى ان هذا الشاب تصرف بحكمة شديدة عندما قتل الأسقف · لا يمكن ان نلوم الملك لويس على ما قاله دوروارد انذاك · كان من الممكن ان اقول نفس الشىء ·

علت الهمهمات في القاعة وبدا كما لو كان النبلاء يوافقون على رأى كرامكور . نظر دوق بورجوندي حوله في غضب .

في تلك اللحظة دخل كومين وقال : وصل احـــد الجنود حاملا رسالة من اهالي لياج .

قال الدوق : دعه يدخل .

# الفصل السابع والعشرون

## فـــرار الـدوق

قـــاد كومين الرجـــل داخـــل القاعة وكان يحمل رسالة من اهالي لياج • كان يرتدي ثيابا غريبة مرسوما عليها راس خنزير كبير من الامام والخلف وكانت قبعته على هيئة راس خنزير •

سال الدوق : من انت ؟

اجاب الرجل : انا زوج سادجليبه ! • • • زالخنزير

البرى الأحمر ) ، احد جنود وليم دولامارك اسقف لياج ٠

صاح الدوق : ما ! اسقف لياج !

اجاب الرجل : نعم ، وهو ايضا لورد ارف كروا بفضل زوجته ليدى هاملين ٠

صاح دوق بورجوندى فى دهشة : زوجته ! ٠٠ ليدى هاملين زوجته !؟

ــ لقد أمرت ان أبلغك ، سيدى الدوق ، ان سيدى عين نفسه فى منصب اسقف وانه الآن حاكم مدينة لياج ٠ وقد امرت ان ابلغك انك لم تعد لك سلطة على المدينة التى صارت الآن تحت سيطرة سيدى !

صاح الدوق : ما !

اكمل الرجل : كلفت بان اطلب منكم ان تعيدوا الأعلام التى اخذتموها من هذه المدينة وان تعيدوا بناء الأسوار وتصلحوا الجزء الذى دمره جنودكم فى القلعة ٠

قال الدوق : هل انتهيت ؟

أجاب الرجل : ليس بعد · لقد أمرت أن أطلب منكم سحب جنودكم من كل القلاع المملوكة لليدى هاملين وكذلك فى اراضى ليدى ايزابيل · على أن أبلغكم أن الأراضى التى تظنونها ملكا لليدى ايزابيل ليست حقا ملكا لها · بل هو ملك ليدى هاملين ، زوجة سيدى ·

قال الدوق : هل انتهيت ؟

أجاب الرجل : كلمة أخيرة . كلمة أخيرة عن صديق سيدى العزيز ومنقذه ، الملك لويس ·

صاح الدوق : ها !

ـ لقد قيل لسيدى ان الملك أسير فى قلعتك وهو يأمرك أن تطلق سراحه فورا وان لم تفعل فسوف يعلن عليك الحرب ·

صاح الدوق : هل انتهيت ؟

قال الرجل : نعم · وأنا فى انتظار ردكم ·

صاح الدوق : الآن ، بحق السماء ! ...

ولكن قبل أن ينطق بالمزيد وقف الملك لويس وقال :

اسمح لي ياسيدي الدوق العزيز أن أجيب أولا على هذا الرجل .

واستدار الى روج سالجلبيه قائلا :

احمل هذه الرسالة الى ذلك اللص الوضيع وليم دولامارك .. قل له ان ملك فرنسا سوف يرحل في الحال الى لياج ليناقش معه مقتل الأسقف .. قل له ان الملك لويس ملك فرنسا ينوي شنق لامارك لأنه جرؤ ان يدعو نفسه صديق الملك .. ولأنه جرؤ أن يسمح لأحد جنوده بذكر اسم الملك لويس .

قال الدوق : وأضف الى ذلك انني للمرة الأولى أوافق على كل ما قاله الملك . والآن اذهب ! ... لا . بل ابق ! عندما يحمل لنا رسول رسالة من بلاط حاكم اخر فمن عادتنا أن تمنحه هدية . ما هي الهدية التي أهديها لك ؟ ... سأمنحك علقة ساخنة .

اجاب كرافكور : لا ، ياسيدى ، لايمكن ان يحدث ذلك · ان ضرب جندى يحمل رسالة ضد القانون ·

قال الدوق : هل هو جندى ؟

قال الملك : هل هو رجل ؟ انه يرتدى ملابس مثل الخنزير · وبما أنه خنزير فسوف أطلق الكلاب عليه ·

صاح الدوق : صح ! صح ! يجب أن يتم ذلك · اطلق الكلاب عليه ·· سوف نصطاد الخنزير !

هرب روج سانجلييه والكلاب تلاحقه · راح يجرى من جانب لآخر بين الموائد تتبعه الكلاب · كانت ساقاه ووجهه قد غطتهم الدماء · ضـــحك دوق بورجوندى والملك لويس حتى انهما وضعا ذراعيهما على اكتـاف بعضهما البعض · وفى النهاية استطاع الرجل المسكين الفرار ·

وبينما التفت الدوق ليتحدث الى أحد جنوده توقف أوليفر دين خلف الملك وقال بصوت منخفض : « هذا الرجل هو خيرادين · من الخطر أن يستجوبه الدوق ·



- أخذت الكلاب تتعقبه وتهجم عليه

اجاب لويس في هدوء : يجب ان يقتل ٠

ذهب اوليفر دين وتحدث الى تريستان وبعد لحظات تقدم تريستان وقال . ايا جلالة الملك سيدى الدوق . هذا الرجل سجين هارب وانا اعرفه لأن كتفه عليه خاتم السجن ٠ انه لص معروف ٠ هل تسمحون لى بالقبض عليه ؟

اجاب الدوق : بالطبع ٠ ماذا يريد ان يفعل معه الملك ؟

قال الملك : انه رجل ممتاز ! سوف ارفعه فوق كل زملائه ٠٠ بواسطة حبل !

ضحك الدوق كثيرا بصوت عال ٠

صاح الدوق في النهاية : آه ، لويس ، لويس ، كنت اتمنى ان تكون مخلصا كملك كما انت مخلص كرفيق ٠ فكر في كل الأوقات السعيدة التى قضيناها معا ٠

قال لويس : يمكنك استرجاع كل هذه الاوقـــات السعيدة عندما نشاء . سوف افعل كل ما تطلبه مني لكي انهي خلافاتنا .

اجاب الدوق : حسنا ، اعتقد انك تعلمت درســـا في البقاء مخلصا للمرة القادمة . هل تفعل كل مـــا أطلب ؟ اذن فاما اطلب منك ان تقوم معي لحارب وليم دولامارك .

قال لويس : سوف اقوم لحاربته بكامل جيوشي .

قال الدوق : لا لا ، ليس بكامل جيوشك فهــذا اكثر مما تحتاج اليه . خذ فقط الحرس الاسكتلندي .

اجاب الملك : كما ترغب .

- ولكي ننهي كل المشاكل بيننا بخصــــوص هذه السيدة ، هل توافق على زواجها من دوق اورليانز ؟

قال الملك : صديقي العزيز . سيكون ذلك صعبا الى حد ما ، لان الدوق سيتزوج من ابنتي جوان .

قال الدوق : دعنا نسأل الاثنين عن رأيهما . دعنا نسأل اورلياتز وليدي ايزابيل !

قال الملك لويس وهو يلتفت الى اورلياتز : صديقي العزيز ، تعرف جيدا انى وعدتك بالـزواج من ابنتي جوان • والآن يسأل دوق بورجونــدي ان كانت هذه الخطة سوف تتبدل ، وان كنت ســتتزوج من ليدى ايزابيل • انني احبه كثيرا لدرجة اني اود تنفيذ اي شيء يطلبه مني • هل انت على استعداد الزواج من ليدى ايزابيل ؟

كان من السهل أن يرى المرء على وجه دوق اورلياتز مايفكر فيه بخصوص الخطة • فقد ركع على ركبتيـه وقبل يد الملك • لم تكن به حاجة للاجـــابة وكان من الواضح انه مسرور •

تقدمت ليدى ايزابيل والتفت اليها دوق بورجوندى سائلا اياها عن رأيها • قالت ليدى ايزابيل في شجاعة : سيدي لقد سمعت اوامرك •

قال الدوق : حسنا ابن عموف اعد لكل شيء عدته ، لقد اصطدنا خنزيرا كبيرا هذا الصباح من هذه القاعة . ما رأيك بالرحيل لو اننا اقمنا حفل رداف هذا المساء .

قالت السيدة : سيدى الدوق . لقد اخطأت فهمى لقد سمعت أوامرك . وفهمت ان كل الاراضـــى التى منحتنى اياها ابوك وحدك ستعود اليك الآن . انى اعيدها اليك . لانى لا استطيع ان اطيع أوامرك .

قال الدوق : محق السماء ! هل يعرف احدكـــم الى من تتوجه بالحديث ؟

اجابت ايزابيل : سيدى . اننى اتحدث الى مولاى واعتقد انه عادل . اذا استرجعت اراضى فانك بذلـــك تسترد ما منحتني اياه ابت وابوك . لكنك لم تمنحنى جسدى السكين ولا الروح التي تسكن هذا الجسد . فقد منحنى اياهما الرب واظن ان اعيدهما الى الرب وان احيا ما تبقى لى من ايامى فى بيت من بيوت الله لامضى حياتى فى الصلاة وعمل الخير !

صاح الدوق : لورد اورليانز ، ستكون لك حتى وان اضطررت لجرها من شعرها داخل الكنيسة !

لم تستطع ليدى كراكور التزام الصمت اكثر من ذلك . قالت : سيدى ، ان غضبك دفعك للحديث بطريقة لا تليق برجل مهذب . لا يمكن ان تجبر اية امــرأة على الزواج بهذه الطريقة !

قال دولوا : لا شك ان صديقي دوق اورليانز لــن يستطيع الزواج من امرأة لا ترغب فى الزواج منه حفاظا على كرامته .

قال اورليانز : ربما ، ان استطعت الحــديث مع السيدة عن العرض الذى اقدمه لها ...

قالت ايزابيل فى حزم : سيدى ، لا فائدة ترجى من ذلك . لقد قررت رفض هذا الزواج الذى لا استحقه !

صاح الدوق : وانا ايضا قررت ماذا انا فاعل . ارسلها الى سجن « زوختاوس » !

سرت الهمهمات فى القاعة .

قالت كولت كرافكور : سيدي الدوق ، اننا نطالبك نحن نبلاءك المخلصين بأن نعيد التفكير جيدا في هذا الحكم · اذا كانت ليدي ايزابيل قد اخطأت ، فلتعاملها وفقا لمرتبتها ولكننا لا نستطيع السماح لك بارسالها الى سجن عــام ·

كان دوق بورجوندي يعرف انه تحدث بلا حكمة ·

قال : انت على حق ياكرافكور ، لقد تسرعت في الحكم · يجب ان يقرر مصيرها وفقا لقانون قديــم نعرفه جيدا جميعنا · عندما يخالجنا شك في اختيار افضل زوج لسيدة ما من بين اثنين او ثلاثة من الفرسان فان حل المسألة في الماضي كان بأن نعطي الســيدة للفارس الاقوى في القتال · اننا ننــوى الزحف على وليم دولامارك لنقاتله بسبب مقتل صديقي ، اســقف لياج · لقد تسببت هذه السيدة في مقتل الاســقف بشكل كبير ·· اذ ان زيارة ليـــدى ايزابيل وكوينتن دوروارد هي السبب في اعطاء الاشارة لتمرد الشعب ·

انني اقرر الآن بان من يأتي لنا براس وليم دولامارك يستطيع ان يطلب مني يد ليدي ايزابيل للزواج !

صاحت ايزابيل : اوه . سيدي ..

قال الدوق : ان جدتك الأولى تزوجت بهذه الطريقة وسيكون ذلك نفس مصيرك .

تعالت صيحات التاييد في جنبات القاعة . وسر الدوق حين راى ان الجميع راضون .

لم يكن من المجدى ان تتكلم ايزابيل . وقال الدوق :

ليكن الأمر كذلك ، سوف نمنحها لاى رجل نبيل يظفر بالزواج منها !

# الفصل الثامن والعشرون

## آخر رسالة من خيرادين

ما ان تمكن كريستن من مغادرة القاعة حتى تبع تريستان والجنود التي اصطحبت خيرادين وعثر عليهم عند اطراف الغابة الصغيرة خارج المدينة . كان احد الجنود يربط حبلا في غصن شجرة البلوط وكان خيرادين جالسا على الأرض ، يلتف حوله عدد من الناس ينتظرون في فضول الى الرجل الذى سوف يلقى المــوت عن قريب .

اخيرا ، جاء تريستان الى خيرادين ليخبره انــه مستعد . وقف كوينتن وسط الجمع على امل ان ينقذ الغجرى بطريقة ما ، ان اتيحت له الفرصة . لقد خذله الرجل ، وخدعه ، لكن كوينتن لم يكن يكرهه ولا يشعر نحوه بالغضب .

قال تريستان : كل شىء جاهز . تعال معى .. ستشاهد منظرا جميلا للمدينة اعلى هذا الغصن .

قال خيرادين فى هدوء : اريد ان اطلـــب منـــك شيئا !

اجاب تريستان : يمكنك ان تطلب اى شىء فيمــا عدا حياتك .

اجاب خيرادين : لا ، انا لا اطلب ذلك ، لأنـــى اعرف انه لا امل لى . اريد فقط ان اتحدث دقائق قليلة مع هذا الجندى من الحرس الاسكتلندى .

واشار الى كوينتن .

بدا على تريستان التردد لدقائق معدودة ثم فكـــر

انه من الحكمة ان يسمح له بذلك لأن كوينتن صار مقربا للملك بعد ما حدث في القاعة الكبيرة . أشار فتقدم كوينتن .

كان خيرادين في حالة يرثى لها . كانت ملابسه ممزقة وقد غطت وجهه الدماء وصارت شفتاه بيضاء اللون . غير ان عينيه كانتا لامعتين لماحتين كعادتهما .

قال تريستان : يجب ان نسرع ، فالرجل امامه رحلة طويلة .

قال خيرادين : يجب أن أتحدث معه على انفراد .

ضحك تريستان وقال : ها ! على انفراد ؟ تريد ان تبتعد قليلا لتسنح لك فرصة الهروب .

قال خيرادين : لن استطيع الهروب فقدماي مرثوقتان . دعني أتحدث مع هذا الرجل بضع دقائق وسوف أعطيك بعض الذهب .

قال الجندى : انت لا تملك شيئا . لقد بحثنا بعناية .

**اجاب خيرادين :** لدى بعض الذهب ولكن ليس هنا سوف أخبر الجندى الاسكتلندى عن مكانه ٠

بدا تريستان ورجاله وكانهم يصدقون الغجـــرى ووافقوا فى النهاية ، ساروا مسافة قصـــيرة مبتعدين ، تاركين كوينتن مع خيرادين ٠

**قال خيرادين :** لقد اعجبتنى حين حاولت انقـــاذ حياة أخى ٠ واردت مساعدتك للزواج من السيدة لكن ليدى هاملين اكثر ثراء من ليـــدى ايزابيل ٠ لذلـــك أحضرتها خارج القلعة وتركـــت ليدى ايزابيـــل فى الداخل ٠

**قال كوينتن :** انا لم اطلب منك المساعدة ، هيا ٠٠ ماذا تريد أن تقول لى ؟

**أكمل خيرادين :** يجب ان اتحدث بسرعة ، فالوقت ضيق ٠ لقد جئت هنا ليس فقط لكى أحمل رسالة الى الدوق ولكن لكى اخبر الملك سرا خطيرا ٠ الآن جمـــع وليم دولامارك جيشا كبيرا فى مدينة لياج ٠ وهو لـــن

يغادر المدينـــة ويخوض القتال الا عندما يصل دوق بورجوندى الى المدينة · سيجعل الدوق يبلغ المدينـة ويظل خارجها · ثم في الليل سوف يهاجـم جـــيش الدوق ·· سوف يرتدى كثير من رجاله ملابس الجيش الفرنسى وسوف يصيحون باسم الملك لويس ·· فاذا كان الملك لويس يساعده فسوف يحطم جيش بورجوندى وان لم يساعده فستقوم الحرب بين فرنسا وبورجوندى ·· وسوف ينتصر لامارك بمساعدة جانب ضد الجانب الآخر · هذا هو سرى يمكنك ان تقوله للملك لويس او للدوق ·· لا يهم !

قال كوينتن : هو حقا سر خطير !

وادرك كم هو من السهل أن تقوم الحرب بين جيش الملك لويس وجيش دوق بورجوندى المشترك وهما يزحفان معا ضد لياج ·

أكمل خيرادين : والآن هناك شيء أريد أن أطلبه منك · بخصوص حصانى السكين كليبر وهو الكائن الوحيد الذى سيحزن لموتى ، ستجده على بعد ميـــل

على الطريق بالقرب من كوخ خالي · اطلق هذه الصيحة ـ وصاح خيرانيمن صيحة غريبة ـ وسوف يأتي اليك · اهتم به · سوف تجد في الكوخ الذهب الذي اعطانيه لامارك لأحمل هذه الرسالة · أعط هؤلاء الجنود بعضا منه كما وعدتهم واحتفظ بما يتبقى ·

ـ انا لا اريد مالك · سوف اعطيه للكنيسة لكي تقيم الصلاة على روحك !

قال خيرانيمن : الوداع اذن · اه ، ولكن انتظر · نسيت ان أخبرك شيئا · هذه رسالة من ليدي هاملين الطيبة الحمقاء زوجة لامارك الان ، موجهة الى ليدي ايزابيل ارى من وجهك انك على استعداد تام لتوصيلها ! ·· والآن وداعا · لا اريد ان يصلي احد من جلي · سيعود جسدي الى الأرض الام ويتحول الى عشب وزهـــور واشجار ·· عشت معها طويلا · وسوف تهيم روحي مختلطة بالريـــاح ، عبر الســـماء الهائمين · والآن اتركني لقد نطقت شفتاي بآخـــر كلمات تقولهـا ·· وداعـا !

# الفصل التاسع والعشرون

## رسالة الى ليدى ايزابيل

كانت الأعلام تخفق والطبول تدق . زحفت جيوش الملك لويس ودوق بورجوندى عابرة الشوارع حتى خرجت الى اسوار مدينة بيرون المطيعة · كانت النساء تنظر عبر النوافذ بينما استقر الفرسان على جيادهم وراحوا يلوحون لهن اثناء مرورهم · كانت ليدى ايزابيل هناك وكان كل فارس يمر تحت نافذتها ينحني

لها · ولكن احدهم راح ينحني اكثر من الآخرين · كان كوينتن قد وضع لها الرسالة على طرف رمحه ·

وقف كونت كرافكور الى جوار ليدى ايزابيل وقال : ما ! ان الشاب جرىء كما كان دائما واكثر · كيف يجرؤ على ارسال رسائل الحب الى سيدة من مرتبة رفيعة بشكل واضح هكذا ؟!

قالت ايزابيل : أنت تتحدث بحمق · انها رسالة من ليدي ماملين · لابد وانها تتعذب بشدة ومع ذلك يبدو انها تكتب في سعادة ·

قالت ليدى كرافكور : دعينا نسمع ماتقوله زوجة لامارك !

قرأت ليدى ايزابيل :

« لقد سعدت بالزواج من احد اشجع الرجال على وجه الأرض · والآن اصبح زوجي اسقفا · ارجو الا تحكمي على وليم بما تسمعينه من الآخرين · انتظري حتى تتعرفي عليه اكثر حين تلتقي به · ان له

اخطاءه ولكن كل الرجال العظماء لهم اخطاء · انـــه يحتسى الخمر بكثرة ولكن جدى ايضا كان مثله · انه شرس ويغضب احيانا ولكن اخي ايضا كان مثله · وهو يتحدث بشكل فظ ومباشر ، ولكن الألمان جميعهـم مثله · كما انه قاس وعنيف فى اعطائه الاوامر ، ولكن كل الرجال يحبون السلطة ···

وهكذا استمرت الرسالة ، وانتهت بـــدعوة ليدى ايزابيل للهروب من بلاط دوق بورجوندي الي ليـــاج للبقاء مع ليدى هاملين ·

هنا توقفت ليدى ايزابيل عن قراءة الرسالة ·

قالت ليدى كرافكور : من الواضح ان ليدى هاملين اصابها احباط فى لامارك · ان قدرا بسيطا من التهذيب فى ايام الزواج الأولى ·

قال الكونت : هو ! مهذب ؟! ·· هذا مستحيل ·· هل عمرك رأيت خنزيرا بريا مهذبا ؟ ··· لا ، انها مثل دجاجة عجوز وقعت فى غرام الثعلب الذى التهمها ·

والآن ربما تكون ليدى ايزابيل متلهفة للحاق بهـــا والزواج من احد افراد عائلة لامارك ·

قالت ليدى ايزابيل : لن اصل ذلك - كل ما اتمناه هو ان تنجح هذه الجيوش فى استرداد مدينة ليـــاج لكى يحرروا ليدى هاملين من هذا الرجل المفزع ·

عندما تلت ليدى ايزابيل الخطاب على اصدقائها ولم تقرا لهم السطور المكتوبة في النهاية :

« كنت اصنع معطفا لزوجى عليه شارة عائلتـــى وعائلته معا · والآن طلب منى ان اتوقف عن هذا العمل وان اصنع له معطفا احمر عليه شارة دونرا · انه يريد أن يخوض الحرب مرتديا زيا كما لو كان دونرا · لست اعرف سبب ذلك ··· » ·

نظرت ليدى ايزابيل الى الورقة وخطر لها خاطر دخلت مسرعة الى البيت وتناولت قلما وسطرت بصفة

سطور . كتبت على جانب الورقة : ان الذى لا يخاف من دونوا نفسه لن يخاف من خنزير برى يرتدي زيه .

نادت على احد الخدم وقالت : خذ هذه الورقة بسرعة الى كوينتن دوروارد الذى يصاحب حرس الملك الاسكتلندي !

# الفصــل الثلاثون

## كوينتن يخبر المــلك

راح الاسكتلندي الشاب يقبل خطاب ليدي ايزابيل الف مرة وهو فى طريقه ، كانت قيمة هذا الخطاب كبيرة ليس فقط كرسالة حب ولكن لان الاخبار التي يحملها كانت شديدة الاهمية . كانت تؤكد له ان كلمات غيراندين صادقة نحو . يجب ان يفعل شيئا حيال ذلك . لو اضطر الى اخبار ملك فرنسا فقط بهذا النبأ فسوف يخفيه الملك عن بورجوندى ويلحق بلامارك

ليعبر جيش الدوق • ولم يكن يستطيع اخبار الدوق • لم يكن يثق في اي منهما • يجب ان تصلهما الاخبار عندما يكونان مجتمعين •

استمر الجمع في السير واقتربت الجيوش من لياج وهناك اكتشفوا ان لامارك قد سحب رجاله الى داخل اسوار المدينة •

على مسافة قريبة من المدينة كان هناك منزلان صغيران يسكنهما تجار الرياء كبيت ريفي • دخل الملك لويس احدهما ودخل دوق بورجوندي الآخر • ضرب الجيش الفرنسي خيامه الى يسار بيت الملك وضرب رجال الدوق خيامهم الى يمين بيت الدوق •

في ذلك المساء مر الملك ببيت الدوق ليسأله عن ترتيبات المعركة • كان كوينتن في نوبة حراسة • اسرع وراء الملك وبينما كان الملك والدوق معا طلب المثول قائلا ان عنده اخبارا مهمة •

بعد وقت قصير سمح له بالدخول وكانت دهشة الملك لويس كبيرة حين سمعه بهدوء ووضوح يلخص خطط

وليم دولامارك . كان من الممكن ان يسر لويس لو ان هذه الأخبار وصلته سرا وهو بمفرده ، ولكن القصة الآن اصبحت معروفة علنا امام دوق بورجوندى . هكذا قال الملك لويس : ايا كان صدق هذا الأمر فهو مهـــم جدا . سوف امر رجالى بان يضعوا قميصا ابيض فوق دروعهم حتى يمكن التعرف عليهم .. دونوا ، تاكد من وصول اوامرى الى كل الكتائب فى الحـــال . ارجو ياعزيزى الدوق ان توافق على هذه الخطة ؟

قال الدوق : نعم اؤيدها رغم ان فرسانك فى هذه الملابس سيكون مظهرهم غريبا . سيطلق عليهم اســم جيش قمصان النوم بدلا من فرسان .

قال الملك : سوف يطلق عليهم ماتشاء من الأسماء اذا انتصروا فى المعركة .

سار الملك عائدا الى منزله مع كرافكور واوليفــر ديــن .

قال : هذا الشاب الاسكتلندى شاب غريب الأطوار

.. انه حكيم فى بعض الأحيان . احمق فى احيـــان اخرى . لا أستطيع فهمه . فكرا فى مدى حمقه اذ حكى قصة صديقى العزيز لامارك امام دوق بورجوندى ! كان لابد ان يخبرنى بها سرا حتى يتسنى لى ان اختار : ان اساعد لامارك او لا اساعده .

قال اوليفر دين : الامر افضل هكذا يا ســـيدى . كثيرون من رجالك يفضلون الحرب ضد لامـــارك عن الحرب معه .

اجاب الملك لويس : انت على حق يا اوليفر . يجب ان نكون رجال واصـــدقاء بورجونـــدى المخلصـــين الحقيقيين .. هذا المساء على الاقل . وبعد ذلك سوف نرى . اذهب واخبر الرجال الا يخلعوا دروعهم يجب ان يستعدوا للهجمة الليلية . دع كراوفورد يضـــع كوينتن دوروارد على يسار خطنا بالقرب من المدينـــة . فهذا سيعطيه فرصة أكبر ليكسب يد السيدة . نحن ندين له بذلك لأنه كشف لنا عن هذه الخطة .

# الفصل الحادى والثلاثون

## المعــــركة تبـــدا

خيم الصمت المطبق على الجيشين وعلى المدينة . من وقت لآخر كانت صيحات الجنود تتعالى مرددين كلمة السر للمرور . ثم غط الجميع فى النوم فيما عدا قليلين يتناوبون الحراسة امام منـــزل الملك وحـــول المعسكر . وكم من النبلاء من الشباب راحوا يحلمون باغتنام يد ايزابيل !

لكن كوينتن دوروارد لم يكن من بين الحالمين . لم

يكن نائما . كان يفكر كيف يحد لامارك وسط المعركة . وكان خاطر آخر يشغل تفكيره ويجعله مستيقظا ، وهو الطريقة التي وصل بها الى علمه معرفة ذلك من خطاب ليدي ايزابيل .

وبينما هو راقد في الظلام راح يرهف السمع لكي يلتقط أدق الأصوات . نظر في ستار الليل البهيم ولكنه لم ير شيئا .

دقت ساعات المدينة دقة واحدة .. ثم دقتين .. فثلاث دقات .. وظل كل شيء صامتا كصمت القبور .

ربما لن يتم الهجوم قبل الفجر . عندئذ سيكون من الأسهل رؤية ملابس دونوا التي سيرتديها لامارك . وبينما جال هذا الخاطر براسه سمع كوينتن في المدينة صوتا خفيضا كصوت اسراب النحل . أنصت . استمر الصوت . ربما كانت الريح تمر بين اغصان الأشجار في الغابة القريبة . وربما كانت عاصفة ما محملة بالأمطار الثقيلة تسقط بمياهها داخل النهر محدثة صوتا اكبر من المعتاد .

ازداد الصوت ارتفاعا . فقام كوينتن وراح ينادى خاله « بلافريــــه » الذى كان يقود كتيبة الحـــرس الاسكتلندى التى يخدم فيها كوينتن . هب الكل فى لحظة واحدة محدثين اقل ضوضاء ممكنة .

وصل لورد كراوفورد وارسل رجلا ليوقظ الملك .

كانت الضوضاء القادمة من المدينة قد توقفت الآن وصار يســـمع صوت آخر .. صــــوت أقــدام كثيرة وثقيلة .

قال لورد كراوفورد وهو يستدير ناظرا الى جندى شاب : كننجهام ، اذهب وايقظ هؤلاء الرجال الكسالى رجال دوق بورجوندي . لابد أنهم نيام .

قال كوينتن : يجب أن تحافظ على مســافة كبيرة بينك وبين المدينة اثناء السير . فهناك جيش كبير يقف دوننا ودون الأسوار .

قال لورد كراوفورد : احسنت القول ياكوينتن ! .. أنت جندى بحق . هؤلاء الرجال بيننا وبين الأســوار

ينتظرون أن يصل الآخرون وليتني أعرف أين الآخرون ٠

قال كوينتن : سوف أذهب ياسيدي لأستطلع الأمر ٠

ـ فلتفعل ، فلديك أذنان وعينان ثاقبتان ٠ ولكن خذ حذرك ٠ لا أريد أن أفقدك ٠

تحرك كوينتن بسرعة وهدوء على الأرض ٠ كان قد درس المنطقة بعناية في الصباح وكان يعرف كل شجرة وكل حجر ٠ بعد وقت قصير شاهد كتيبة كبيرة تقف في منتصف المسافة بين منزل الملك وبوابة المدينة ٠ وكانت هناك كتيبة أصغر أمامها ٠ ثم اكتشف فجأة أنه على مقربة كبيرة من مجموعة من الرجال يقفون بالقرب من بيت الملك ٠ لم يكن من السهل الفرار دون أن يلحظ أحد ذلك ٠ فراح ينادي بصوت منخفض : من هناك ؟ فجاءته الإجابة : « تحيا ليـ ٠٠٠ لياج ٠٠ أقصد لويس »

أطلق كوينتن النار ٠ صاح الرجل صيحة واحدة وسقط ٠ تلا ذلك تبادل النيران ولكن كوينتن كان قد رحل ٠

**قال كراوفورد : أحسنت يابني .**

كان الرجال يقفون في خط واحد . يقف خلفهم الملك لويس. استدار الملك على جواده . **فقال كراوفورد:** أين أنت ذاهب ياسيدي ؟ أنت في مأمن هنا أكثر بين رجالك .

قال لويس : يجب أن اتجه فورا الى الدوق . يجب أن اجعله يثق في هذه اللحظة المهمة والا فستقوم الحرب بين فرنسا وبورجوندي . تعال معي يادوروارد .

# الفصل الثانى والثلاثون

## دونــوا الآخــر

ابتعد الملك على حصانه يتبعه كوينتن . وجدا الدوق راقدا على فراشه وقد أصابه مرض مفاجىء حتى أصبح غير قادر تقريبا على قيادة جنوده . بدأ الهجوم على منزل الملك . خرجت كتيبة ثالثة من لياج وهاجمت جيش بورجوندى وراحت تصيح : « تحيا فرنسا . عاش الملك لويس ! »

كانوا يريدون أن يعتقـد جنـود بورجـونـدى أن الفرنسيين يهاجمونهم ٠

عندما وصل الملك كان من المحتمل ان تنجح هذه الحطة ٠ ولكن عندما أظهر الملك نفسه لجيوش الدوق عرفوا أن المهاجمين ليسوا من الفرنسيين ولكن من اتباع لامارك ٠ ولأن الدوق كان مريضا فقد قاد الملك بنفسه جيش بورجوندى ٠ كان قائدا شديد الهدوء شديد الحكمة مما دفع الجنود لتلبية اوامره ٠

كانت رحى الرحب تدور الآن على الجانبين ٠ الى اليسار كانت النيران تندلع من بعض المنازل القليلـة بالقرب من اسوار المدينة ٠ فى الوسط كانت الحـرب تدور أمام منزل الملك ، والى اليمين كانت خطوط جيش بورجوندى مزودة بالرجال للدفاع عن خط القتال ٠

التفت الملك الى كوينتن قائلا : يمكننا السـيطرة عليهم هنا الى اليمين ولن يستطيعوا أن يلحقوا بنـا الأذى فى الوسط ٠ يمكننا السيطرة عليهم بعدد أقل من

الرجال . اذهب وقل لدونوا أن يجمع الرجال الذين يستطيع جمعهم وأن يسير ليفصل بين أهل لياج وبين المدينة .

ذهب كوينتن الى دونوا ولكنه التقى بكراوفورد قادما صوب الملك ليتلقى الأوامر . استدار كراوفورد وعاد أدراجه مع كوينتن ، حيث وجدا دونوا مع مائتين من الحرس الاسكتلندي حيث ألقى عليه بأوامر الملك .

انضــــم كوينتن الآن لدونوا وســـــار الى يمين كراوفورد بينما سار دونوا الى يساره . سارت الكتيبة وسط أحد الحقول والتفت حول مؤخرة الجيش .

بدأ ضوء النهار يلمع فى السماء .

قال كراوفورد لدونوا : « الآن بحق السماء ! هـــل أنت من يسير الى جوارى أم هو أنت الذى يجمع الرجال هناك للهجوم ؟ أظن أنى أرى الواحد اثنين ، فالحقيقة أنكما تتشابهان تماما .

**استدار دونوا ونظر صائحا : حقيقي بما يكفى !** هذا الرجل يضع شارة عائلتي فوق ملابســـه وعلى درعه . سوف أقتله لذلك السبب حين ألقاه !

**قال كوينتن :** اترك ذلك لي . دعني اتعامل معه .

**صاح دونوا :** أتركه لك ، أيها الشاب ؟ . .

لا . هذه مسألة تخصني .

**ثم التفت مناديا على الرجال حوله :** يارجال فرنسا النبلاء ، اجمعوا الصف ! استعد ! تقدم !

أطلقت الكتيبة نيرانها محدثة دويا كبيرا . .

كانوا يطلقون النار على جنود من المشاة . وكانوا يشكلون خطا قويا حتى ان عددا قليــلا من الفرســـان الفرنسيين كان باستطاعتهم اختراق الخط . ومن بينهم دونوا وكوينتن الى جواره . أسرعا بالتقدم الى حيث يقف عدوهم . ثم فجـــأة رأى دونوا على مبعدة الى اليسار رجلا يرتدى درع وليم دولامارك .

صاح : ها ! انتما ، دوروارد وبلافريه اذهبا وقاتلا هذا الدونوا الآخر . اما انا فاري عدوا آخر أكثر اهمية . لا تدعا أحدا يجرؤ على المجيء معي . انني ذاهب لصيد الخنزير !

كان كوينتن مستعدا لقبول هذا الترتيب .

في هذه اللحظة بدأت المعركة تتراجع صوب المدينة . كان اهل لياج يجرون من كل جانب صوب الابواب وكان الجنود الفرنسيون يحثون الخطو وراءهم . تبع كوينتن عدوه وكان يستطيع ان يرى لامارك ( وهو يرتدي ملابس دونوا ) محاولا ان يجمع رجاله حوله ويجعلهم يصمدون في وجه المعركة . لبرهة استطاع لامارك أن يجعل رجاله يواجهون الفرنسيين أمام ثغرة كبيرة في أسوار المدينة . كان يحمل سيفا طويلا في يده وقد بدا كل شيء يتساقط امامه . كانت الدماء تغطيه الى حد أنه كان من الصعب ان ترى العلامة فوق درعه . أصبح كوينتن الآن يجد صعوبة أقل في رؤيته ، لأنه كان يقف أعلى من الآخرين . قفز

من فوق جواده وتسلق الصخور المتساقطة ليهجم على « خنزير الغابة » . التفت لامارك صوب كوينتن شاهرا سيفه . كانا على وشك الاشتباك حين انطلقت صيحة انتصار مدوية دليلا على أن الفرنسيين دخلوا المدينة من موقع اخر خلف الرجال الذين يدافعون عن الثغرة فى السور . اسرع لامارك بجمع رجاله وعاد أدراجه الى المدينة .

# الفصل الثالث والثلاثون

## راس لامـــارك

كان من الممكن ان يهرب لامارك لو لم يكن كوينتن يعرف سره · لكن كوينتن وبلافريه تبعاد عن قـــرب ، وكلما توقف لامارك هاجماه · لكن لامارك لم يكـــن يرغب في القتال · كان يحاول الهرب وفي كل مرة كان يستطيع أن يحرر نفسه منهما ·

كانت الحرب تدور داخل المدينة بشراسة · وكانت صيحات النساء تتعالى من كل جانب مختلطة بصيحات

الخوف والغضب واصوات الرجال الجرحى أو المحتضرين ٠

كان لامارك يحاول الهرب ٠ هبط الى شارع ضيق واقترب من باب كنيسة صغيرة ٠ **فجاة تعالت صيحات :** فرنسا ! فرنسا ! بورجوندى ! بورجوندى ! » وعرف أن الأعداء يدخلون الشارع فى الطرف البعيد ٠ لم يكن يستطيع الفرار ٠

**التفت الى أحد جلوده وقال : خذ هؤلاء الرجال** معك وحاول أن تخترق نهاية الشارع ٠ اما أنا فسابقى هنا واتعامل مع هذين الاسكتلنديين ٠

اطاع الجندى ٠

وقف لامارك بجوار باب الكنيسة فى مواجهة الرجلين الاسكتنلديين ٠

صاح : تقدم ، تقدم أيها الشاب !

اسرع لامارك نحو دوروارد مسددا اليه ضربة كادت تشطره نصفين من الرأس الى اخمص القدمين ٠

لكن كوينتن قفز جانبا بسرعة · وراحا يتقاتلان مثل خنزير وكلب ، كان كوينتن اسرع ولكن القوة كانت تنقصه وكانت الضربة من سيف « الخنزير » تعني الموت ، لكنه كان يتفاداها في كل مرة بسرعته · وفي كل مرة كان يتمكن من جرحه وهو يهرب فيساعده ذلك على الاقتراب من النصر ·

وفي اللحظة التي بدا الانتصار فيها قريبا سمع كوينتن اسمه وصيحة استنجاد ·

ــ النجدة ، دوروارد ! النجدة ! النجدة ! أنقذني !

ادار راسه ورأى ترودشن بافيون وقد حملها أحد الجنود الفرنسيين ·

صاح كوينتن للامارك : انتظرني قليلا ! ·

ثم جرى لينقذ السيدة التي كثيرا ما ساعدته ·

اجاب لامارك : انا لا انتظر أحدا ·

صاح بلافريه : اذن فسوف تنتظرني انا · كان بامكان كوينتن أن يقتلك ، وأنا خاله ، أحارب بدلا منه ·

وجد كوينتن انه من الصعب ان ينقذ ترودشن اكثر مما توقع • كان الجندي الفرنسي يقاتل بشراسة وفي النهاية اسرع بعض جنود الحرس الاسكتلندي لمساعدته وتمكنوا من ابعاد الرجل •

لكن المهمة لم تكن قد انتهـــت بعد • كــان على كوينتن ان يصطحب ترودشن الى منزل بافيون ووصل هناك في الوقت المناسب ليدافع عن البيت واصحابـه ضد هجمة بعض رجال بورجوندي •

دخل الملك والدوق الى المدينة عبر البوابة الكبيرة • وارسلا اوامرهما لوقف عمليات قتل المدنيين واحراق المنازل • ثم اتجها صوب الكنيسة الكبيرة في قلــب المدينة • وعندما هدات المدينة ، قاما باستدعاء الجنود لكي يقوموا بعمل الترتيبات اللازمة للمبيت •

كان لورد كراوفورد راكبا جواده في احد الشوارع متشملا ( مثل ضباط آخرين في رتبته ) يجمع رجاله • واثناء سيره التقى « بلافريه » وهو يسير بهدوء صوب النهر حاملا في يده راس رجل •

صاح كراوفورد : ما . بلافريه . ماذا تعمل ؟ لماذا تحمل هذا ؟

ـ هذا كل مانبقى من عملية قام بهـــا دوروارد الشاب واشرف على الانتهاء منها ولكنه استدعى بعيدا وقمت انا بصفتي حاله باتمام المهمة وقتلت الرجل . وقبل ان يموت طلب مني ان القى براسه في النهــر . بعض الرجال لهم امنيات غريبة حين يوافيهم الموت !

قال كراوفورد وهو ينظر الى الراس بعناية اكثر : وهل ستلقى هذا الراس في النهر ؟

قال بلافريه : نعم بالطبع . لقد طلب مني الرجل ذلك ومن حقه ان يفعل مايريد براسه .

قال كراوفورد : لن تلقيه في النهر بل ستاتي معي .

اجاب بلافريه : آه حسنا . انا لم أعده بشيء فقد مات قبل ان اجيبه .

# الفصل الرابع والثلاثون

## النهـــــاية

كان الوقت مساء .. عاد السلام مرة ثانية للمدينة فقد جمع الضباط رجالهم وكف القتال واغلقت نوافذ البيوت واقفلت الابواب بالمتاريس وخلت الشوارع من المـــارة .

فى قاعة القلعة الكبيرة حيث قتل اسقف لياج ، جلس الآن ملك فرنسا ودوق بورجوندى وحولهما النبلاء والضباط .

كانت المادبة قد انتهت وكان من الضـــروري الان الاتفاق على السؤال الأكبـــر : من الذي قتل وليـــم دولامارك ؟ من الذي ظفر بيد ليدي ايزابيل ؟

اظهر كرافكور معطفا عليه راس خنزير بـــري مثل المعطف الذي يرتديه عادة لامارك ، وقدم دونوا درعا كتلك التي يحملها لامارك عادة . وقدم آخـــرون اجزاء اخرى من حلته العسكرية او علامات اخرى تدل على النجاح . وساد اللغط والشجار .

في تلك اللحظة ، تقدم كراوفورد وسط الدائرة وهو يجر بلافريه خلفه .

وصاح : ابتعدوا بدروعكم وسيوفكم الملوثة وثيابكم الملوثة : ها هو الرجل ! لا احد غيره قتل الخنزير ويستطيع ان يريكم راسه !

ثم القى كراوفورد على الأرض راس وليم دولامارك .

ساد الصمت .

قال لويس : كراوفورد ، ارجو ان يكون واحدا من حرسى الاسكتلندى الأمين هو الذي فاز بالجائزة ؟

أجاب كراوفورد : نعم ياسيدى ٠ انه بلافريه ٠

سأل دوق بورجوندى : ولكن هل هو من اصل نبيل؟ لا يمكننا ان نزوج السيدة من رجل ليس من النبلاء ٠

قال كراوفورد : انه رجل غريب ، جندي حقيقـــي ولكنه خشن الطباع واعتقد انه يحب كؤوس الخمر اكثر من النســـاء ٠

قال بلافريه : نعم ، هذا حقيقى ٠٠ وأرجو أن أقول لكـــم ٠٠٠

قال الدوق : حسنا ، اذا كان من عائلة طيبة وان كان قد ظفر بها فيجب أن نعطيها له ٠ لقد كان وعـدا احمق ٠ انها ابنة صديقي العـــزيز رجينال دو كـــروا الوحيدة ٠ لقد وعدت وعدا غبيا ٠

قال لورد كراوفورد : انتظر ، فربما كان الأمـــر افضل مما تتخيل ٠ دع الرجل يتكلم ٠

ثم حكى بلامريه قصته ·· كيـــف تبــع كوينتن دولامارك اثناء الحرب وسيطر عليه فى قبضته وكيف انه اوشك على قتله لولا ان نادته احــدى الســـيدات لانقاذها من براثن جندى فرنسى · وحكى كيف انـــه بضربات قليلة تمكن من قتل لامارك الذى كان مجروحا فى مقتل بسبب الاسكتلندى الشاب · ثم قال وهو ينهى حكايته : انا احب كؤوس الخمر اكثر من النساء ·· ولا اريد زوجة ، فانا سعيد بحالى هذه !

قال الملك لويس : اننا ندين بالشـــكر الكبير لهذا الشاب كوينتن دوروارد ·· فلولا انه اخبرنا بخطـــة العدو لكنا قد دمرنا عن اخرنا ·

قال دونوا : واستطيع أيضا أن اتحدث بالنيابة عن دوروارد · فقد حارب بشجاعة فائقة فى الحرب ولـــم يكن فى مثل شجاعته أحد ·

قال كراوفورد : وهو سليل اسرة عريقة من افضل الأسر فى اسكتلندا · فهو سليل الآن دوروارد احد أكبر ضباط المملكة ·

قال كرافكـــور : انظـــر كيف يســـاعد هؤلاء الاسكتلنديون بعضهم البعض ويتحدثـون نيابـــة عن بعضهم البعض !

اجاب كراوفورد ضاحكا : الاسكتلنديون ، كتـــف لكتـــف !

قال دوق بورجوندى : علينـــا مع ذلك ان نســـال السيدة عن رايها ٠

قال كرافكور : بحق السماء ' اعتقد انها لاول مرة ستطيع اوامرك !

رقم الايداع ١٩٩٤/٥٤٢٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3983 — 1

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب